أخلاق الأسرة المسلمة

يضبط أخلاق أسرتك على الأخلاق النبوية

جمع وترتيب :
أحمد عبد المتعال







أخلاق الأسرة المسلمة

يضبط أخلاق أسرتك على الأخلاق النبوية

جمع وترتيب :

أحمد عبد المتعال

بطاقة الفهرسة

اسم الكتاب : أخلاق الأسرة المسلمة

إعداد : أحمد عبد المتعال

الإصدار : الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدا عبد الله ورسوله أما بعد .

أحبتي في الله ، صلاحُ الأبناء والبنات أمنيّةٌ للآباء والأمهات ، ونعمةٌ عظيمة ومنّة جليلة من رب العالمين ، ما أسعدَ المسلم وهو ينظر إلى أولاده قد هداهم الله الطريقَ المستقيم ورزقهم الاستقامة على الدين والهدى ، يحبهم ويحبونه ، يودّهم ويودّونه ، إن أمرهم أطاعوه ، فهم يبرّونه ، ويطيعونه ، وينفّذون أوامره في طاعة الله ، قرّت بهم عينيه ، وانشرح بهم صدرُه ، وطابت بهم حياته ، تلك نعمة عظيمة من الله تعالى ؛ أولادٌ ربُّوا تربية صالحةً على مكارم الأخلاق ، فحسُنت معاملتهم لربهم ، ثم للأبوين ، ثم للإخوان والجيران والأرحام والمسلمين عمومًا ، ولعظيم هذا الشأن سنتناول أخلاق الأسرة المسلمة التى ينبغي على الوالدين بتوفيق الله أن يغرسوها في نفوس أولادهم منذ الصغر سائلا الله تعالى التوفيق والسداد .

الفقير إلى الله تعالى : أحمد عبد المتعال

ثبت المراجع والمصادر لهذا الكتيب

١ – المجلة الإسلامية الأعداد ٤٠ ، ٦٩، ٧٠ .

٢ – التقصير في تربية الأولاد للشيخ/ محمد بن إبراهيم الحمد.

٣– الضياء اللامع من الخطب الجوامع لفضيلة الشيخ : محمد بن صالح العثيمين .

٤ – بستان الخطيب أمير بن محمد المدري .

٥– سلسلة أعمال القلوب للشيخ محمد صالح المنجد .

٦– قف وتأمل لعلي بن صالح الجبر البطيّح .

٧– موسوعة الخطب والدروس ، جمعها ورتبها الشيخ علي بن نايف الشحود .

٨– موسوعة خطب المنبرموسوعة شاملة للخطب التي تم تفريغها في موقع شبكة المنبر.

٩– موسوعة البحوث والمقالات العلمية، لعلي بن نايف الشحود.

١٠ – هذا هو الإسلام الذي قالوا عنه لأحمد عبد المتعال .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات.

مقدمة

أولياء الأمور الأفاضل ، نعلم أن من شب على شيء شاب عليه ، فمن نَشَّأ أولاده على الأخلاق الفاضلة والمثل الكريمة في الصغر ، سُرَّ وانتفع بهم في الكِبَر ، وأعظم التربية ؛ التربية على مكارم الأخلاق .

وأول ركائز هذه التربية والتي لا غنى لها عنها القدوة الحسنة ؛ بأن يكون أولياء الأمور قدوة حسنة في سلوكهم وأقوالهم وأعمالهم كلها أمام أبنائهم ، فقبل أن يربوا أولادهم على التخلق بالخلق الحسن ، يجب عليهم أن يتصفوا بمكارم الأخلاق .

فإن رآك ابنك صادقا سيكون هو الآخر صادقا ، فينبغي لولى الأمر أن يكون صادقا في كل لفظ مع أبنائه ، وكذلك إذا كنت رحيما بأولادك تَألَف وتُألَف ، تنبسط معهم في الحديث وتتواضع لهم ، وتمزح وتلعب معهم ، ولا تفارقك الابتسامة معهم ، فإن خلق الرحمة والحنان سينتقل إليهم .

وإذا كنت قادرًا على ضبط نفسك عند الغضب فإن حدث أخطاء من الأولاد تغضب وليس من قلبك ، فإذا عاقبت كان

القصد من وراء هذا العقاب التربية وليس الإنتقام ؛ فإذا اعترف الصغير بخَطَئِهِ فيتلاشى الغضب من وجهك سريعًا ، ويتحوَّل إلى ابتسامة رقيقة ، وكذلك تتحوَّل الابتسامةُ إلى تَجَهُّم عند الخطأ ، وسرعان ما يزول التجهُّم ، وهكذا دون أن يُؤَثِّرَ ذلك في القلب ؛ لِيُرَبِّيَ الكبيرُ الصغير ، وليس العكس ؛ وبذلك يتعلم الطفل كيف يضبط نفسه عند الغضب .

وكذلك إذا تعاملت مع أولادك بالعدل حتى في القبلات ، فلو قبلت هذا رجعت وقبلت هذا ، مع تجنبك أن تميل إلى ولدٍ أكثر من الآخر أثناء الحديث ، أو تمازحه وتباسطهُ أكثر من الآخر ، وإنما تراعي العدل بين الأولاد في كل شيء ، بذلك يتعلم الأولاد خلق العدل من ولي أمرهم وهكذا ، وبذلك يتربى الأولاد على مكارم الأخلاق .

الأب الكريم كن حريصاً على الكسب الحلال الطيب والنفقة الطيبة على أولادك ؛ حتى يبارك الله تعالى فيهم ويتعلموا منك التقوى .

وسوف أتناول في الفقرات القادمة إن شاء الله تعالى أخلاق

الأسرة المسلمة التى ينبغي على أولياء الأمور الإجتهاد في غرسها في نفوس أولادهم وبالله التوفيق .

١- خلق الإيمان

كان العرب أهل شرك بالله تعالى فأوجد النبي ﷺ أعظم الأخلاق التي كان يفتقدها ذلك المجتمع ، وهو الإيمان ، فإن الإيمان هو أساس الأخلاق ، وقد بين للعرب أن الكرم وغيره من الأخلاق التي بها يفاخرون ، ما هي إلا بناء لا أساس له مع انتفاء الإيمان ، وأن من أتى بالإيمان الصادق أوْلى بالأخلاق ممن أطعم الجائع أو كسى العريان وقلبه غارقٌ في الشرك ورجسه ؛ قال الله تعالى: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آَمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآَخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللهِ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [التوبة: ١٩] .

وكما أن الأخلاق الحسنة التي تواطأت الفِطَر السليمة على قبولها تظل ناقصةً مشوهةً هشَّة البناء إذا فقدت خُلُق الإيمان ؛ فإنها كذلك لا تنفع صاحبها في الآخرة ، ولا يُثاب عليها ؛ فعَنْ عَائِشَةَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ، ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ ، وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: « لَا

يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ »[1] ، وقد أوضح النبي ﷺ أن الأخلاق تتناسب طردياً مع الإيمان ؛ فكلما زاد معدل الإيمان في القلب ؛ سمت الأخلاق ، والعكس بالعكس ، وفي هذا يقول رسول الله ﷺ : « **أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا** »[2] .

خلق الإيمان في محيط الأسرة

بين رسول الله ﷺ سمات خلق الإيمان فقال : « **الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ – أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ – شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ** »[3] ، وكذلك فإن النبي ﷺ جعل من سمات المؤمن سلامة الناس منه حيث يقول رسول الله ﷺ: « **الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ** »[4] ، فمن سمات خلق الإيمان في الأسرة أن أفراد

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ٢١٤ .

(٢) (حسن صحيح) أخرجه الترمذي ١١٦٢ وصححه الألباني .

(٣) (حسن صحيح) أخرجه الترمذي ٢٦٢٧ وصححه الألباني .

(٤) (حسن صحيح) أخرجه الترمذي ٢٦٢٧ وصححه الألباني .

الأسرة يتواصون فيما بينهم بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربي ولا يقترفون الفواحش والمنكرات ويتجنبون الظلم لقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل :٩٠] ، ويتصفون بالحلم والود واللين مع بعضهم البعض ومع الآخرين ، ويبر الأولاد آباءهم وأمهاتهم ، ويصلون الأرحام ، ويحترم الصغير الكبير ويعطف الكبير على الصغير ، ويكرمون الضيف ، ويتصفون بالصدق ، ويحسنون للجار ، ويتجنبون اللغو ، ويتصفون بحسن الخلق ، والحياء ، والشكر ، وخلق التقوى ، والبشاشة ، والسماحة ، والصبر ، ويبتعدون عن الكذب والشتم واللعن . .

أيها الأب الكريم يجب تفقد أحوال الأولاد ، ومراقبتهم من بعد: ومن ذلك:ملاحظتهم في أداء الشعائر التعبدية من صلاة ، ووضوء ، ونحوها ، والسؤال عن أصحابهم ، ومراقبة ما يقرؤونه ، وتحذيرهم من الكتب التي تفسد دينهم ، وأخلاقهم ، وإرشادهم إلى الكتب النافعة .

٢- حسن الخلق

الأخوة أولياء الأمور ، ينبغي ترسيخ الهدف والغاية من بعثة رسول الله ﷺ في نفوس أولادكم وبناتكم وهو ضبط أخلاق الناس ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: « **إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ** »[(٥)] ، ولقد بين الله تعالى ذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾[الأنبياء : ١٠٧] ، أنظر إلى هذه الآية وهذا الحديث تجد أن العلاقة بينهما وثيقة ، فلو أن أسرة يسودها البغضاء والكراهية والحسد والضغينة فأين الرحمة اذن؟

وينبغي على ولي الأمر أن يبين لأولاده أنه ليس هناك رحمة بدون أخلاق ، كما أن كل العبادات جاءت من أجل إدراك حسن الخلق ، فمثلا الصلاة يقول الله تعالى عنها : ﴿ **وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ** ﴾ [العنكبوت :٤٥] ، فالمحافظة على الصلاة تنهى صاحبها عن الوقوع في المعاصي والمنكرات ؛ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ: إِنَّ فُلَانًا يُصَلِّي بِاللَّيْلِ ، فَإِذَا أَصْبَحَ سَرَقَ قَالَ: « **إِنَّهُ**

---

(٥) (صحيح) أخرجه الأدب المفرد ٢٧٣ وصححه الألباني .

سَيَنْهَاهُ مَا تَقُولُ» [٦] ، ويتضح من هذا الحديث كيف أن رسول الله ﷺ يؤكد بأن صلاته سوف تضبط أخلاقه وتبعده عن السرقة ، وكذلك الصدقة فإنها تزكي نفس المسلم ، لقول الله تعالى: ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا** ﴾ [التوبة :١٠٣] .

سبحان الله!! ان الهدف من الزكاة والصدقات هو تزكية النفس أي تربية النفس على حسن الخلق ، أنظر كيف يمكن لك أن تتصدق على أخيك بدون أن تدفع له شيئا ، فَعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلَالِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَبَصَرُكَ لِلرَّجُلِ الرَّدِيءِ الْبَصَرِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُكَ الْحَجَرَ وَالشَّوْكَةَ وَالْعَظْمَ عَنِ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ** » [٧] .

أرأيت كيف يمكن لك أن تكسب صدقات بدون أن تدفع مالا هذه هي الصدقات الأخلاقية .

---

(٦) (صحيح) أخرجه الأدب المفرد ٢٧٣ وصححه الألباني .

(٧) (حسن) أخرجه الترمذي ١٩٥٦ وحسنه الألباني .

وكذلك الصوم فإن الغاية من الصوم التقوى و حسن الخلق ، قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة :١٨٣] ، وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَصْخَبْ – أي: يخاصم ويصيح – ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ »[8] ، وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا يُذْهِبُ وَحَرَ الصَّدْرِ؟ صَوْمُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ»[9] ، ووحر الصدر أي غِشُّهُ وَوَسَاوِسُهُ وَقِيلَ الْحِقْدُ وَالْغَيْظُ وَقِيلَ الْعَدَاوَةُ وَقِيلَ أَشَدُّ الْغَضَب .

وتصل الأخلاق الى ذروتها في الحج يقول الله تعالى ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾[البقرة :١٩٧] ، فالحج تدريب قاس على ضبط الأخلاق ، فالحاج حريص على أن يكون حسن الخلق ، فلا يتكلم بصوت عال ، ولا يشتم أحد ، ولا يسب أحدا ، ولا يظلم أحدا ، بل ينبغي على الحاج أيضا الإستزادة من فعل

(٨) (صحيح) أخرجه البخاري ١٩٠٤ ، ومسلم ١١٥١ .

(٩) (حسن) أخرجه النسائي ٢٣٨٥ وصححه الألباني .

الخيرات خلال فترة حجه التي قد تصل إلى عشرين يوما . أنظر كيف أن الحج تربية للأخلاق ، مع ما يتعرض له الحاج من زحام شديد فأكثر من ثلاثة ملايين حاج يرمون الجمرات في وقت واحد ، وكلهم فوق عرفات في وقت واحد ، وكلهم في منى في وقت واحد ، . . .

حسن الخلق أثقل في الميزان من العبادات

أحبتي في الله ، يجب أن تبينوا لأولادكم أن حسن الخلق أثقل في ميزان العبد من العبادات يوم القيامة ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا ، وَصِيَامِهَا ، وَصَدَقَتِهَا ، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا ، قَالَ: «**هِيَ فِي النَّارِ** » ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ، فَإِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا ، وَصَدَقَتِهَا ، وَصَلَاتِهَا ، وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ- أي بقطع - مِنَ الْأَقِطِ- أي اللبن الجاف- ، وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا ، قَالَ: «**هِيَ فِي الْجَنَّةِ** » [(١٠)] ، أنظر أخي الحبيب كيف أن المرأة كثيرة العبادة والتي تؤذي جيرانها لم

---

(١٠) (صحيح) أخرجه أحمد ٩٦٧٥ وصححه الألباني

تنفعها العبادة مع سوء الخلق ، وأنظر إلى المرأة قليلة العبادة والتى تحسن لجيرانها كيف أن حسن الخلق قد جبر عبادتها .

أختى المؤمنة أنظري لمن تنشر الغسيل وهو مبتل ، فيتساقط على غسيل جارتها التي تسكن تحتها . . ألا ينطبق عليها هذا الحديث ، وأنظري إلى تلك الأم التي توصي أولادها: اياكم واللعب أو الاقتراب من أبناء جارتنا ، اتقاء لسلاطة لسانها ، وسبحان الله قد تجد هذه المرأة سليطة اللسان مرتدية الحجاب محافظة على صلاتها ، أنظر كيف أن هذه المرأة فهمت المسألة فهما خاطئا ، ظنت أن العبادات أعظم عند الله من الأخلاق ، وكم من هذا الصنف الذي يتركه الناس اتقاء لشره!

وأنت أخي الكريم أنظر إلى الذي يضع سيارته أمام جراج جيرانه ، واحكم الفرامل وذهب الى المسجد ليصلي ، فينطبق عليه هذا الحديث!! أراك مندهشا ، وتقول: لقد ذهب ليصلي ، وأنا أراك قد نسيت ما قلنا سالفا: فنحن لا نريد الفصل بين الأخلاق والعبادات؟

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ**

لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ »[11] ، أنظر كيف أن رسول الله ﷺ نفي عن الرجل كمال الإيمان إذا كان يؤذي جاره .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ؟**»قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ ،قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْمُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاتِهِ وَصِيَامِهِ وَزَكَاتِهِ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا فَيَقْعُدُ فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْتَصّ مَا عَلَيْهِ مِنَ الخَطَايَا أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**»[12] ، أنظر أخي الحبيب ، كيف أن حسنات الصلاة والصيام والزكاة لم تنفع صاحبها مع إيذاء الناس وسوء الخلق معهم .

وانظر كيف أن الصلاة والصيام وحفظ القرآن وتلاوته لم تنفع الخوارج الذين قال رَسُولُ اللهِ ﷺ عنهم: « ..**يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ**

---

(١١) (صحيح) أخرجه مسلم ٤٦ .

(١٢) (صحيح) أخرجه الترمذي ٢٤١٨ وصححه الألباني

تَـرَاقِيَهُمْ.. » [(١٣)] ، والسـبب في ذلـك بينـه رسـول الله ﷺ في حديث آخر عندما قتلوا المسلمين وتركوا عباد الأوثان كما هو الحال في كثير من الفرق الإسلامية المنحرفة فلم ينال المسـلمون منهم إلا شرا وسوء خلق ، بل وكانوا وبالًا على أمة الإسلام ، قال رسول الله ﷺ عنهم: «**يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلاَمِ وَيَدَعُونَ أَهْـلَ الأَوْثَانِ، لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ** » [(١٤)] .

الشرع يقدم الأخلاق عن الجهاد والعلم

أخوتي في الله ، ينبغـي أن تبينـوا لأولادكـم أن الشـرع قـدم حقوق العباد ومكارم الأخلاق على الجهاد والعلم ، فقد يظـن الـبعض أن الجهـاد مقـدم علـى حقـوق العبـاد أنظـر إلى هـذا الحديث العظيم الذي تتجلى فيه أنوار النبوة ، فعن عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، يَقُـولُ: جَـاءَ رَجُـلٌ إِلَـى النَّبِـيِّ ﷺ ، فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الجِهَادِ ، فَقَالَ: «**أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟** » ، قَالَ: نَعَمْ ، قَالَ: « **فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ** » [(١٥)] .

---

(١٣) (صحيح) أخرجه البخاري ٣٦١٠ ومسلم ١٠٦٤ .
(١٤) (صحيح) أخرجه البخاري ٣٣٤٤ ومسلم ١٠٦٤ .
(١٥) (حسن) أخرجه البخاري ١٩٠٤ ، ومسلم ١١٥١ .

أنظر كيف أن رسول الله ﷺ أوصى هذا الرجل بأن يبر والديه ولا يتركهما ويذهب للجهاد ، وهذا مصداقا لقول الله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[الأنبياء : ١٠٧] .

وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ ، يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، أَنَّهُ قَامَ فِيهِمْ فَذَكَرَ لَهُمْ أَنَّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَالْإِيمَانَ بِاللهِ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ ، فَقَامَ رَجُلٌ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ، أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللهِ ، تُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : نَعَمْ ، إِنْ قُتِلْتَ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: كَيْفَ قُلْتَ؟ قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَتُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **نَعَمْ، وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ، إِلَّا الدَّيْنَ، فَإِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِي ذَلِكَ** » (١٦) ، قال الإمام النووي رحمه الله تعالى : فِيهِ هَذِهِ الْفَضِيلَةُ الْعَظِيمَةُ لِلْمُجَاهِدِ وهى تكفير خطاياه كلها إلا حقوق الْآدَمِيِّينَ . . وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ إِلَّا الدَّيْنَ فَفِيهِ تَنْبِيهٌ عَلَى جَمِيعِ حُقُوقِ الْآدَمِيِّينَ ، وَأَنَّ الْجِهَادَ وَالشَّهَادَةَ وَغَيْرَهُمَا مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ لَا يُكَفِّرُ حُقُوقَ الْآدَمِيِّينَ

(١٦) (صحيح) أخرجه البخاري ١٩٠٤ ، ومسلم ١١٥١ .

وَإِنَّمَا يُكَفِّرُ حُقُوقَ اللهُ ، فحقوق الله تقوم على المسامحة ، أما حقوق العباد فتقوم على المشاحة .

وقد يظن البعض أن رسول الله ﷺ قد بعثه الله تعالى من أجل تعليم الناس العلم أولا ومكارم الأخلاق ثانيًا . . فهل هذا الكلام صحيح . . !؟ وأيهما يسبق الآخر: العلم أم مكارم الأخلاق؟

يقول الله عز وجل ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾[آل عمران :١٦٤] ، ففي كتاب الله تعالى ثلاث آيات قدم الله تعالى التزكية أي تربية النفس على مكارم الأخلاق على العلم ، ومرة واحدة قدم العلم على التزكية في دعوة سيدنا ابراهيم ، ومن ذلك يتبين لنا أن تزكية النفس وتربيتها على مكارم الأخلاق مقدم على العلم .

من فضائل حسن الخلق

١- أنه سبب في مرافقة النبيين وجوار الصالحين من الذين أنعم عليهم رب العالمين ، فَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ

قَالَ: «**إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا**» (١٧) .

٢- حسن الخلق أثقل شيء في الميزان ، فَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ الله لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ**» (١٨) .

٣- أنه من أسباب دخول الجنة ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ ، فَقَالَ: «**تَقْوَى الله وَحُسْنُ الْخُلُقِ**» (١٩) .

٤-يدرك المؤمن بحسن الخلق درجة الصائم ، فَعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ الْخُلُقِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ**» (٢٠) .

وسائل تحسين الخلق

هناك وسائل مفيدة لتحسين الخلق نذكر منها :

---

(١٧) (صحيح) أخرجه الترمذي ٢٠١٨ وصححه الألباني .

(١٨) (صحيح) أخرجه الترمذي ٢٠٠٢وصححه الألباني .

(١٩) (صحيح) أخرجه الترمذي ٢٠٠٤وصححه الألباني .

(٢٠) (صحيح لغيره) أخرجه أحمد ٢٥٥٧٨ وصححه شعيب الأرنؤوط .

١ – **مراقبة النفس ومحاسبتها،** وذلك بنقد النفس إذا ارتكبت أخلاقاً ذميمة ، وحَمْلِها على ألا تعود إلى تلك الأخلاق مرة أخرى ، مع أخذها بمبدأ الثواب إذا أحسنت ، وأخذها بمبدأ العقاب إذا توانت وقَصَّرَتْ .

٢ – **النظر في عواقب سوء الخلق،** وذلك بتأمل ما يجلبه سوء الخلق من الأسف الدائم ، والهم الملازم ، والحسرة والندامة ، والبغضة في قلوب الخلق .

٣ – **الدعاء** ، ولهذا كان النبي ﷺ يقول في دعاء الاستفتاح : «**اللهُم.. اهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ**»(٢١) . .

٤ – **الصبر من الأسس الأخلاقية التي يقوم عليها الخلق الحسن ؛** فالصبر يحمل على الاحتمال ، وكظم الغيظ ، وكف الأذى ، والحلم ، والأناة ، والرفق ، وترك الطيش والعجلة ، ودفع الإساءة بالحسنة لقول الله تعالى : ﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ﴾ [البقرة :٤٥] ، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ

---

(٢١) **(صحيح)** أخرجه النسائي ٨٩٧ وصححه الألباني .

﴾ [فصلت : ٣٤] .

٥ – تكلّفُ البِشْر والطلاقة، وتُجنّبُ العبوس والتقطيب ، روى الترمذي عَنْ عَبْدِ الله بْنِ الْمُبَارَكِ ، أَنَّهُ وَصَفَ حُسْنَ الْخُلُقِ فَقَالَ: هُوَ بَسْطُ الْوَجْهِ وَبَذْلُ الْمَعْرُوفِ وَكَفُّ الأَذَى . وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ : «**لَا تَحْقِرَنَّ مِنْ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ**» (٢٢) .

فطلاقة الوجه تدخل السرور على من قابلك ، وتجلب المودة والمحبة ، وتوجب انشراح القلب ، بل توجب انشراح الصدر منك وممن يقابلك ، وجرب تجد ، لكن إذا كنت عبوساً فإن الناس ينفرون منك ، ولا ينشرحون بالجلوس إليك ، ولا بالتحدث معك ، كما أن مساعدة الناس وكفَّ الأذى عنهم من حسن الخلق ، هذه الأصول الثلاثة التي يدور عليها حسن الخلق في معاملة الخلق .

٦ – الحلم والأناه والتغافل عن ذنوب الآخرين ، فكن أيها الأب الكريم متخلقاً بالحلم والأناه في أمورك ، فإذا شاهدك أولادك على هذا الحال سرعان ماكتسبوا هذا الخلق الكريم .

---

(٢٢) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٦٢٦ .

فالحلم والأناه من الأخلاق التي يحبها الله تعالى لقول رسول الله ﷺ لْأَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ: «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ، وَالْأَنَاةُ» (٢٣) .

وقال ابن الأثير عن صلاح الدين الأيوبي: كان حليماً حسنَ الأخلاق ، متواضعاً ، صبوراً على ما يكره ، كثير التغافل عن ذنوب أصحابه ، يسمع من أحدهم مايكره ، ولا يُعلمه ولا يتغير عليه .

٧ – **الإعراض عن الجاهلين والعفو والصفح**، فكن أيها الأب الكريم مهذباً في قولك ، بعيداً عن الفحش وسيئات الأقوال ، فلا يسمعك أولادك لعَّاناً ، ولا يسمعك أولادك سبَّاباً ، ولا يسمعك أولادك منتهكاً لأعراض الناس ، ولا متبعاً لعوراتهم ، فقط يسمعون منك الكلمة الطيبة ، والمقولة الحسنة ، والألفاظ المهذبة ، قال تعالى: ﴿ **خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنْ الْجَاهِلِينَ** ﴾ [الأعراف: ١٩٩] .

٨– صحبة الصالحين وأصحاب الخلق الرفيع فإن الصاحب

(٢٣) (صحيح) أخرجه مسلم ١٧ .

ساحب ، والجالس مجانس ، لقول رسول الله ﷺ: «**الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ** » [٢٤] .

حسن الخلق في محيط الأسرة

١- حث الإسلام على أن يكون إختيار كلا الزوجين على أساس الدين والخلق ، وحثَّ الإسلام كل شاب على اختيار ذات الدين الملتزمة بتعاليم الإسلام وآدابه ، فقد قال ﷺ: « **تُنْكَحُ المَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَدَاكَ** » [٢٥] ، ووضع الإسلام للمرأة أسسًا تختار على أساسها زوجها ، فلابد أن يتوفر في الرجل جميع ما يجب توفره في المرأة ، دون تفرقة بينهما ، فيجب أن يكون رجلاً ذا دين ، وأن يكون أمينًا ذا خلق ، وهذه الصفات معلومة من حديث رسول الله ﷺ: « **إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ** » [٢٦] .

٢- من حسن خلق المرأة مع زوجها احتمال سوء الخلق

---

(٢٤) (حسن) أخرجه الترمذي ٢٣٧٨ وحسنه الألباني .
(٢٥) (صحيح) أخرجه البخاري ٥٠٩٠ ، ومسلم ١٤٦٦ .
(٢٦)(حسن لغيره) أخرجه الترمذي ١٠٨٥ وحسنه الألباني .

والأذى والصبر على ذلك ، وألا تفرح إذا رأته حزينًا ، ولا تحزن إذا رأته فرحًا ، ولا يخرج من لسانها إلا القول الطيب انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً﴾ [البقرة: ٨٣] ، وهو أحب الناس إلى قلبها ، فلا تقابل الإساءة بمثلها ، بل بالإحسان ؛ لأنها ترجو ما عند الله وهو خير وأبقى ، وتضبط انفعالاتها معه ، وتتجنب إساءة الظن به ، وتبادر إلى طلب رضاه ، وإذا ما غضب لا تنتظر أن يبدأ هو بالسلام ، انطلاقًا من قول رسول الله ﷺ: « **أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِنِسَائِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟** » ، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ: « **الْوَدُودُ الْوَلُودُ الَّتِي إِنْ ظَلَمَتْ أَوْ ظُلِمَتْ قَالَتْ: هَذِهِ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، لَا أَذُوقُ غَمْضًا حَتَّى تَرْضَى** » [(٢٧)] .

٣- حث الشرع على أن يكون الرجل حسن الخلق مع أهله ، فعَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي**» [(٢٨)] ، وحسن الخلق مع الأهل في كف الأذى وبذل الندى ، والصبر عليهم وعلى أذاهم ، ومن

---

(٢٧) (صحيح) رواه الطبراني في المعجم الكبير ٣٠٧ وصححه الألباني.

(٢٨)(صحيح) أخرجه الترمذي ٣٨٩٥ وصححه الألباني .

حسن خلق الرجل مع زوجته أن يحترم الرجل رأى زوجته ولا يهينها سواء بحضرة أحد أم لا ، وإذا صدر منه خطأ في حق زوجته أن يطيب خاطرها بالكلمة الطيبة ، وهذا لا يقلل من شخصه أبداً ، بل يزيد مكانة ومحبة الرجل عند زوجته .

٤- حث الشرع على أن يُحْسِن الرجل لبناته ، فَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ، وَصَبَرَ عَلَيْهِنَّ، وَكَسَاهُنَّ مِنْ جِدَتِهِ ، كُنَّ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ**»[(٢٩)] ، وكذلك حث رسول الله ﷺ على الإنفاق على الأهل والأولاد فقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**وَإِنَّ نَفَقَتَكَ عَلَى عِيَالِكَ صَدَقَةٌ، وَإِنَّ مَا تَأْكُلُ امْرَأَتُكَ مِنْ مَالِكَ صَدَقَةٌ، وَإِنَّكَ أَنْ تَدَعَ أَهْلَكَ بِخَيْرٍ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَدَعَهُمْ يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ**» [(٣٠)] ، وإذا نشأ الولد وتربى التربية الإسلامية الحقة فإنه يكون وفيًّا لوالديه ، فالعلاقة بين الوالد والولد ، علاقة تبادلية ، إن أحسنت لأولادك في الصغر أحسنوا إليك في الكبر .

٦- من حسن خلق الوالد مع أولاده :

---

(٢٩)(صحيح) أخرجه البخاري في الأدب ٧٦ وصححه الألباني .

(٣٠)(صحيح) أخرجه مسلم ١٦٢٨ .

- تقدير مراحل العمر للأولاد : فالولد يكبر ، وينمو تفكيره ، فلا بدّ أن تكون معاملته ملائمة لسنه وتفكيره واستعداده ، وألا يعامل على أنه صغير دائماً ، ولا يعامل أيضاً وهو صغير على أنه كبير ؛ فيطالب بما يطالب به الكبار ، ويعاتب كما يعاتبون ، ويعاقب كما يعاقبون .

- تلافي مواجهة الأولاد مباشرة: خصوصاً في مرحلة المراهقة ، بل ينبغي أن يقادوا عبر الإقناع ، والمناقشة الحرة ، والحوار الهادئ البناء ، الذي يجمع بين العقل والعاطفة .

- إشباع عواطفهم: وإشعارهم بالعطف ، والرحمة ؛ حتى لا يبحثوا عنه خارج المنزل ؛ فالكلمة الطيبة ، واللمسة الحانية ، والبسمة الصادقة ، وما جرى مجرى ذلك له أثره البالغ في نفوس الأولاد .

- النفقة عليهم بالمعروف: وذلك بكفايتهم ، والقيام على حوائجهم ؛ حتى لا يضطروا إلى البحث عن المال خارج المنزل .

-إشاعة الإيثار بينهم: بتعويدهم على السخاء ، والشعور بالآخرين ، حتى لا ينشأ الواحد منهم فرديًا لا هم له إلا نفسه

، فكن حذرا من أن تعود ولدك على أن يأخذ ولا يعطي فهذه من المصائب حقا ، ولكن عوده أن يأخذ ويعطي ، إعط الأخ الكبير مصروفا كبيرا وقل له يرضي إخوته الصغار فهذا يعوده على العطاء ويقوى المحبة بينهم .

- الإصغاء إليهم إذا تحدثوا وإشعارهم بأهمية كلامهم: فالذي يجدر بالوالد إذا تحدث ولده خصوصًا الصغير أن يصغي له تمامًا ، وأن يبدي اهتمامه بحديثه ، كأن تظهر علامات التعجب على وجهه ، أو يبدي بعض الأصوات أو الحركات التي تدل على الإصغاء والاهتمام والإعجاب ، كأن يقول: رائع ، صحيح ، أو أن يقوم بالمهمة ، وتحريك الرأس وتصويبه ، وتصعيده ، أو أن يجيب على أسئلته أو غير ذلك ، فمثل هذا العمل له آثار إيجابية كثيرة منها: أن هذا العمل يعلم الولد الطلاقة في الكلام ، ويساعده على ترتيب أفكاره وتسلسلها ، ويدربه على الإصغاء ، وفهم ما يسمعه من الآخرين ، و ينمي شخصية الولد ، ويصقلها ، ويقوي ذاكرته ، ويعينه على استرجاع ما مضى ، ويزيده قرباً من والده .

- إكرام الصحبة الصالحة للولد : وذلك بتشجيع الولد على

صحبتهم ، وحثه على الاستمرار معهم ، وبحسن استقبالهم إذا زاروا الولد ، بل والمبادرة إلى استزارتهم ، وتهيئة ما يلزم لهم من تيسيرات مادية ومعنوية . أما النفور من الصحبة الصالحة للولد والجفاء في معاملتهم فلا يليق ، ولا ينبغي ؛ لأنه يشعر الولد بعدم قبولهم والرضا عنهم ، فيسعى لمقاطعتهم ، أو يتخفى في علاقته بهم ، أو يتركهم ، فيقع فريسة لأصحاب السوء فيما بعد .

- مراعاة الحكمة في إنقاذ الولد من رفقة السوء: فلا ينبغي للوالد أن يبادر إلى العنف واستعمال الشدة منذ البداية ، فلا يسارع إلى إهانتهم أمام ولده ، أو طردهم إذا زاروه لأول مرة ، لأن الولد متعلق بهم ، ومقتنع بصحبته لهم .

بل ينبغي للأب أن يتدرج في ذلك ، فيبدأ بإقناع ولده بسوء صحبته ، وضررهم عليه ، ثم يقوم بعد ذلك بتهديده وتخويفه وإشعاره بأنه ساعٍ لتخليصه منهم ، وأنه سيذهب إلى أولياء أمورهم كي يبعدوا أبناءهم عنه ، فإذا حذر ابنه وسلك معه ما يستطيع ، وأعيته الحيلة في ذلك ، ورأى أن بقاءه معهم ضرر محقق- فهناك يسعى لتخليصه منهم بما يراه مناسبًا .

- التغافل لا الغفلة عن بعض ما يصدر من الأولاد من عبث ، أو طيش: فذلك نمط من أنماط التربية ، وهو مبدأ يأخذ به العقلاء في تعاملهم مع أولادهم ومع الناس عموماً ؛ فالعاقل لا يستقصي ، ولا يُشْعِر من تحت يده أو من يتعامل معهم بأنه يعلم عنهم كل صغيرة وكبيرة ؛ لأنه إذا استقصى ، وأشعرهم بأنه يعلم عنهم كل شيء ذهبت هيبته من قلوبهم ، فليس الغبي بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغابي ، ثم إن تغافله يعينه على تقديم النصح بطريقة غير مباشرة ، من باب: إياك أعني واسمعي يا جاره ، ومن باب: ما بال أقوام . وربما كان ذلك أبلغ وأوقع .

٧- من حسن خلق الأولاد فيما بينهم أن يحترم كبيرهم صغيرهم ، وأن يعطف كبيرهم على صغيرهم لقول رسول الله ﷺ : « **لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا** »[٣١] ، وهذا لن يتأتي إلا بالمعاملة الطيبة للوالدين مع الابن الأكبر ، أو البنت الكبرى ، فكثرة ضرب الأكبر أو كثرة إهانته أمام إخوته تجعله عدوانيا يضرب أخوته فيتولد العنف بينهم ، ومعاملة

---

(٣١)(صحيح) أخرجه الترمذي ١٩١٩ وصححه الألباني .

الأكبر بالعطف والحنان والرحمة تجعله رحيما بإخوته فينشأ الأولاد على الرحمة والحنان ، وينبغي مراعاة العدل بين الأولاد حتى في القبلات فهذا له أثر حميد في المحبة بين الأولاد ، فالأخلاق تنتقل أولا من الوالدين إلى الأكبر ، ثم تنتقل تباعًا من الأكبر للأصغر .

٨- أحق الناس بأخلاقك وعطفك وحنانك وبرك وإحسانك والداك ، لذلك ينبغي على ولي الأمر أن يبر والديه ؛ فعندما يشاهد الأبناء برك بأبيك وبرك بأمك ، فينقلون تلك الصفة الحميدة عنك ، وكذلك كن واصلاً لرحمك فإنهم يقتدون بك حينما يرونك تزور إخوتك وأخواتك وأعمَامك وعمَّاتك وأخْوَالك وخَالَاتك . . . وتواسي محتاجهم وتقوم بحقهم .

ولقد حث الشرع على رعاية الوالدين والوفاء لهما وحسن الخلق معهما ، فمهما فعل الأبناء فلن يستطيعوا أن يكافئوا الوالدين بما قاموا به نحوهم من عطف ورعاية ، وتربية وعناية ، وقد فصَّل الله سبحانه وتعالى ما يجب من الإحسان إلى الوالدين بقوله تعالى: ﴿ **وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا**

﴿تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤] .

ورعاية الأم والاهتمام بها وبرها مقدم في بر الوالدين ؛ لأنها تتحمل في رعاية الطفولة وتربيتها أكثر مما يتحمل الأب ؛ تتحمل مشقة الحمل ، وصعوبة الوضع ، وقسوة الرضاع ، ثم الخدمة والتربية ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «**أُمُّكَ**» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**ثُمَّ أُمُّكَ**» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**ثُمَّ أُمُّكَ**» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**ثُمَّ أَبُوكَ**» (٣٢) ، ولقد حذر الشرع من إساءة الخلق مع الوالدين بعقوقهما فعَدَّ سوء الخلق معهما وعقوقهما من أكبر الكبائر ، فعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ﷺ ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟** ثَلاَثًا» ، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ: «**الإِشْرَاكُ بِالله، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ** - وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ - **أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ**» ، قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ

(٣٢)(صحيح) أخرجه البخاري ٥٩٧١ ، ومسلم ٢٥٤٨ .

سَكَتَ [٣٣] ، حيث تفضل عليه الصلاة والسلام فجعل عقوق الوالدين قرين للشرك بالله ، ولقد وصى الله تعالى الأبناء بمراعاة ذلك ؛ فحث الولد بأن يكُنْ لأمه وأبيه ذليلا متواضعًا رحمة بهما ، وأن يسأل الولد ربه بأن يرحمهما برحمته الواسعة أحياءً وأمواتًا ، فقال تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾ [الإسراء:٢٤] .

٩- من حسن خلق الأسرة مع الجار معاملته بالحسنى ، فالإحسان إليه من حسن الخلق ، والإساءة إليه من سوء الخلق ، وهذا ما أمر به التشريع ، فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا زَالَ يُوصِينِي جِبْرِيلُ بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ» [٣٤] ، ولقد ربط الله تعالي عبادته بالإحسان إلي مجموعة من الناس منهم الجيران فقال تعالى : ﴿وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ﴾ [النساء :٣٦] ، وحذر رسول الله ﷺ من إيذاء الجار

---

(٣٣)(صحيح) أخرجه البخاري ٢٦٥٤ .

(٣٤)(صحيح) أخرجه البخاري ٦٠١٤ ، ومسلم ٢٦٢٥ .

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ**» (٣٥) .

ومن حسن الخلق مع الجار أن يعطي من الزكاة والصدقات إذا كان فقيرا ؛ وإن استعان بك أعنته ، وإن استنصرك نصرته ، وإن استقرضك أقرضته ، وإن افتقر أعطيته ، وإن مرض عدته وإن أصابه خير هنأته ، وإن أصابته مصيبة عزيته ، وإن مات تبعت جنازته ، ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه ، ولا تؤذه ، وإن اشتريت فاكهة فأهد إليه منها وإن لم تفعل فأدخلها بيتك سرًا ، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ، ولا ينبغي لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت شبعانا وجاره جائع ، لقول رسول الله رَسُولَ اللهِ ﷺ : « **لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالَّذِي يَشْبَعُ وَجَارُهُ جَائِع إِلَى جنبه** » (٣٦) .

١٠- من حسن أخلاق الأسرة مع الضيف إكرامه بطلاقة الوجه وحسن اللقاء وطيب الكلام ونحو ذلك مما جرى العرف عليه ، مع التعجيل في إكرام الضيف ويكرم الضيف ثلاثة أيام

---

(٣٥) (صحيح) أخرجه مسلم ٤٦ .

(٣٦) (حسن) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٣١١٧ وحسنه الألباني .

لقول رسول الله ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ**» قَالَ: وَمَا جَائِزَتُهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالضِّيَافَةُ ثَلاثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ**» (٣٧) ، قال الإمام النووي: قال الْعُلَمَاءُ مَعْنَاهُ الِاهْتِمَامُ بِهِ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ وَإِتْحَافُهُ بِمَا يُمْكِنُ مِنْ بِرٍّ وَإِلْطَافٍ وَأَمَّا فِي الْيَوْمِ الثَّانِي وَالثَّالِثِ فَيُطْعِمُهُ مَا تَيَسَّرَ وَلَا يَزِيدُ عَلَى عَادَتِهِ وَأَمَّا مَا كَانَ بَعْدَ الثَّلَاثَةِ فَهُوَ صَدَقَةٌ وَمَعْرُوفٌ إِنْ شَاءَ فَعَلَ وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ أهـ .

❋ ❋ ❋

٣- خلق الشكر

الشكر هو الثناء على المنعم على إحسانه ، والإعتراف بإحسانه وذلك بالقلب واللسان والجوارح ، وهذا سليمان عليه الصلاة والسلام لما رأى نعم الله عليه من الملك ، وفهم لغة الطير ، وحوار النملة مع أمة النمل سأل ربه سبحانه أن يلهمه شكر نعمته عليه ؛ فقال الله ﷻ عنه : ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ

(٣٧) (صحيح) أخرجه البخاري ٥٤٢٦ ، و مسلم ٢٠٦٧ .

نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل:١٩] .

والنعم تزيد بالشكر وتحفظ من الزوال بالشكر ﷻ قال في كتابه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ (٧)﴾ [إبراهيم:٧] ، قال عمر بن عبد العزيز: قيدوا نعم الله بشكر الله ، والشكر مع المعافاة عند بعض أهل العلم أعظم من الصبر على الابتلاء ، فقال مطرف بن عبد الله: لأن أعافي فأشكر أحبُّ إليّ من أن أُبتلى فأصبر .

ومن الأشياء التي تؤدي إلى الشكر:

١- أنك تنظر إلى من هو دونك ، لقول رسول الله ﷺ : « **انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ**»(٣٨) ، فمما يحفظ العبد من ترك الشكر عندما ينظر إلى من هو فوقه أن هذه قسمة الله .

٢- الدعاء فلقد أرشد رسول الله ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه أن يدعو في دبر كل صلاة بهذا الدعاء: «**اللهمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْــــرِكَ**

(٣٨) (صحيح) أخرجه الترمذي ٢٥١٣ وصححه الألباني .

وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»[٣٩] .

٣- أن يعلم العبد أنه مسئول عن النعمة لقول الله تعالى تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر:٨] .

كيفية الشكر

معاشر الإخوة ، شكر النعمة يكون بالقلب واللسان والجوارح فشكر القلب باستشعار النعمة وأنها من عند الله تعالى ، قال تعالى : ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ (٥٣)﴾ [النحل:٥٣] ، وشكر اللسان بحمد الله ﷻ والتحدث بنعمه كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١)﴾ [الضحى:١١] ، وشكرالجوارح باستعمال النعمة في طاعة الله ﷻ كما قال الله تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ(١٣)﴾ [سبأ:١٣] .

والنعم التى وهبها الله لعباده لا تقدر بمال ، والله سبحانه وتعالى سوف يسألنا جميعا عن هذه النعم يوم القيامة ، ولكن من كرم الله تعالى أن التحدث بالنعمة شكر ، وشكر النعمة من جنس النعمة كأن يحفظ الرجل بصره عن الحرام ويستعمله في

(٣٩) (صحيح) أخرجه أبو داود ١٥٢٢ وصححه الألباني .

التفكر في خلق السماوات والأرض ، وكذا شكر من أسدى إليك معروفا ، فعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ: « **مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْقَلِيلَ، لَمْ يَشْكُرِ الْكَثِيرَ، وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ، لَمْ يَشْكُرِ اللهَ. التَّحَدُّثُ بِنِعْمَةِ اللهِ شُكْرٌ، وَتَرْكُهَا كُفْرٌ، وَالْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ، وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ** »(٤٠) .

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً فَقَالَ: الْحَمْدُ لله إِلَّا كَانَ الَّذِي أَعْطَى** –أي أداه وفعله من الحمد– **أَفْضَلَ مِمَّا أَخَذَ**– أي من النعمة– »(٤١) ، وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ**»(٤٢) ، وقال بن حجر:إذا آتاك الله مَالًا فَلْيَرَ أَثَرَهُ عَلَيْك أَيْ بِأَنْ يَلْبَسَ ثِيَابًا تَلِيقُ بِحَالِهِ مِنَ النَّفَاسَةِ وَالنَّظَافَةِ لِيَعْرِفَهُ الْمُحْتَاجُونَ لِلطَّلَبِ مِنْهُ مَعَ مُرَاعَاةِ الْقَصْدِ وَتَرْكِ الْإِسْرَافِ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ : «**إِذَا رَأَى**

---

(٤٠) (حسن) أخرجه أحمد ١٨٤٤٩ وحسنه الألباني .

(٤١) (حسن) أخرجه ابن ماجه ٣٨٠٥ وحسنه الألباني .

(٤٢) (حسن صحيح) أخرجه الترمذي ٢٨١٩ وصححه الألباني .

أَحَدُكُمْ مُبْتَلًى، فَقَالَ: الْحَمْدُ لله الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلاَكَ بِهِ وَفَضَّلَنِي عَلَيْكَ وَعَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ تَفْضِيلا، كَانَ شَكَرَ تِلْكَ النِّعْمَةِ» [٤٣] ، فمن رأى مبتلى في صحته بالمرض أو خلقه بسوء الخلق وإقتراف المعاصي فليقل : «**الْحَمْدُ لله الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلاَكَ بِهِ وَفَضَّلَنِي عَلَيْكَ وَعَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ تَفْضِيلا** » فهذا شكر للنعمة .

ومن شكر النعم المتجددة أنك تسجد سجود الشكر وفي ذلك أن النبي ﷺ أتاه أمر فسرّ به فخرّ لله ساجداً ، وأبو بكر لما جاءه قتل مسيلمة المرتد الذي ألب عليه العرب وأشد الناس على المسلمين خرّ لله ساجداً ، وعلي رضي الله عنه لما رأى ذا الثدية في الخوارج أسود مخدّج مقطوع اليد عند العضد مثل حلمة المرأة ، وأنه علامة وآية أنه سيقاتل الخوارج أمرهم فبحثوا في جثث القتلى وأخرجوه ؛ سجد علي رضي الله عنه شكراً لله . وكعب بن مالك سجد في عهد النبي ﷺ لما بشر بتوبة الله عليه .

فوائد الشكر

الاخوة الفضلاء ، للشكر ثلاث فوائد وهي :

---

(٤٣) (حسن) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٤١٢٩ وحسنه الألباني .

١ – **رضا الواحد الأحد** ، فإذا رضي الله عنك أسعدك في الدارين ، لقول الله تعالى : ﴿ **وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ** ﴾ [إبراهيم :٧] .

٢ – **كفاية السؤال في الآخرة (سؤال التوبيخ)**، أما سؤال التقرير فلا بد منه ، لقول الله تعالى: ﴿ **ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ** ﴾ [التكاثر:٨] قال بعض العلماء: والله لتسألن عن الماء البارد ، فكيف بمن أخذ الدور والأموال ، وكفر بنعم الله؟ رأينا بعض الناس يملك من الدنيا أموراً لا يعلمها إلا الله ، باستطاعته أن يدخل الجنة بشيء يسير من هذا المال ، وهو جار للمسجد يسمع الآذان يطرق أذنيه بحي على الصلاة وحي على الفلاح ، ولا يلبي ، فما عرف طريق الجنة .

٣ – **يُدْعَى لك بخير** ، فإن الشاكرين يُدْعَى لهم ممن يحسنون إليهم في ظهر الغيب ، ومما يكتسب العبد دعاء الإخوة والخلان .

خلق الشكر في محيط الأسرة

شكر نعم الله تعالى

فالعبد إذا كتم نعم الله ولم يذكر إلا المصائب فهذا كفر للنعمة كالمرأة التي تكفر نعمة زوجها ؛ لأن الله هو المنعم الحقيقي ، ولذلك جاء في الحديث: « **التَّحَدُّثُ بِنِعْمَةِ اللهِ شُكْرٌ، وَتَرْكُهَا كُفْرٌ**» ونذكر قصة زوجتي نبي الله إسماعيل عليه السلام ، فعندما جاء إبراهيم يتفقد ولده إسماعيل عليهما الصلاة والسلام ، فطرق الباب فخرجت له زوجة ابنه ، قال: كيف عيشكم؟ قالت: نحن بشر ، ونحن في ضيق وشدة ، فقال لها : فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلاَمَ ، وَقُولِي لَهُ يُغَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِه ، فهذه لم تشكر نعم الله عليها ولهذا حرمت النعمة وطلقها إسماعيل عليه السلام ، والمرأة الثانية التي تزوجها نبي الله إسماعيل عليه السلام عندما زاره أبوه إبراهيم عليه الصلاة والسلام في مرة أخرى في غيبته فقال للزوجة: أين إسماعيل؟ قالت : خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا ، قَالَ: كَيْفَ أَنْتُمْ؟ وَسَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ ، فَقَالَتْ: ، نَحْنُ بِخَيْرٍ وَسَعَةٍ ، وَأَثْنَتْ عَلَى اللهِ ، فَقَالَ: مَا طَعَامُكُمْ؟ قَالَتِ اللَّحْمُ ، قَالَ فَمَا شَرَابُكُمْ؟ قَالَتِ المَاءُ . قَالَ:

اللهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي اللَّحْمِ وَالْمَاءِ فقَالَ لها: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلاَمَ ، وَمُرِيهِ يُثْبِتُ عَتَبَةَ بَابِهِ [٤٤] ، نعم هذه شكرت نعم الله تعالى عليها فبارك الله لها في هذه النعم وأبقي لها إسماعيل عليه السلام زوجا لها .

لذلك نوصي الزوجات بخلق الشكر لله تعالى فمن المعلوم أن هناك كثير من الزوجات هداهن الله ! إذا سألتهن عن معيشتهن أكثرن الشكاية والسخط وعدم الرضا حتى ولو كانت في رغد من العيش لأنهن جبلن على الشكاية وعدم الشكر ، فياحسرة على هذا الصنف من النساء !!، وهناك أخريات إذا سألتهن عن معيشتهن وأزواجهن يشكرن ويحمدن الله تعالى لأنهن جبلن على خلق الشكر فهنيئا لهذا الصنف من النساء .

وكذلك لما يُسأل أي شخص حتى لو كان مريضاً: كيف حالك؟ عليه أن يقول: الحمد لله ، يحمد الله أن المرض ما كان أشد من هذا ، فهذه من شكر نعمة الله تعالى .

وبعض الناس يبتليهم الله تعالى بأمراض ، فتوضع أمامهم

(٤٤) الحديث بالمعنى والأصل أخرجه البخاري ٣٣٦٤ .

أشهى الأطعمة فيقول: لا آكل هذا لأن الطبيب منعنى من أكل كذا وكذا . . وهكذا ، فلو تأمل كل من كان حزينا على ضيق عيشه وقلة مافي يده لرواد المستشفيات وغيرهم من أصحاب البلاء وأنواع الأمراض لعلم يقينا أنه في نعمة من الله وفضل ، فلذلك ينبغي على كل واحد منا دائماً أن يكثر من حمد الله تعالى وأن يجعل الحمد كله لله .

شكر الوالدين

لقد وُجِد في مجتمعنا من فعل لابنه كل شيء ، رباه وعلمه وزوجه . . ومع ذلك فتجد هذا الابن ، من أفجر الناس في معاملة أبيه وأمه!! قلبه أشدّ قسوة من الحجر ، يخالف والديه ، ينتقص أباه في المجالس ويستهزئ به ، وربما سبّه وشتمه أمام الناس ، بالرغم أن الله تعالى يقول: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ(١٤)﴾[لقمان : ١٤] ، فجعل الله تعالى منزلة شكر الوالدين بعد منزلة شكره سبحانه وتعالى ، وما ذاك إلا لعِظَم فضل الوالدين ، وآكد حقوقهما على الأبناء ، ولقد جاء في السنة الصحيحة أن عابدا من بني إسرائيل كان يعبد الله في

صومعته فجاءته أمه ثلاث مرات تناديه وهو يصلى فيقول في نفسه أمي أم صلاتي؟ ثم يستمر في صلاته ؛ فدعت عليه أمه ألا يموت حتى يريه الله وجوه المومسات ؛ وقد كان[(٤٥)] ، فبالرغم من أن جريج العابد كان يريد أن يستزيد في العبادات وما علم هذا المسكين أن حق والديه أولا ، وماذلك إلا لعظم شأن الوالدين .

لذا فإن حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول : ثلاث آيات مقرونات بثلاث ، ولا تقبل واحدة بغير قرينتها . .

١- الأولى : ﴿ وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾[المائدة :٩٢]

فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه .

٢- الثانية : ﴿ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ﴾[البقرة :٤٣] ، فمن صلى ولم يزكِّ لم يقبل منه .

٣- الثالثة : ﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ﴾[لقمان :١٤] ، فمن شكر لله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه .

(٤٥) الحديث بالمعنى والأصل أخرجه البخاري ٢٤٨٢ ومسلم ٢٥٥٠ .

وشكْرُ الوالدين برُّهُما ، ومعلـوم مـن غـير توضـيح أن شـكر الوالدين وشكر الناس جـزء مـن شـكر الله سـبحانه وتعـالى ، وكما أن الكتاب العزيز ربط شـكر الوالـدين بشـكر اللّـه عـز وجل ، كما تقدم بيانـه ، كـذلك السـنة النبويـة ربطـت رضـى الوالدين برضى اللّه عز وجل ، وسخطهما بسخطه عز وجل ، قـال رسـول الله ﷺ : « **رِضَى الـرَّبِّ فِي رِضَى الوَالِـدِ، وَسَـخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ** » [٤٦] .

شكر نعمة الزوج

جاء في وصف النساء التي جاء من أسباب دخولهن النـار قـول رسول الله ﷺ: «**أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَـا النِّسَـاءُ، يَكْفُـرْنَ**» **قِيلَ: أَيَكْفُرْنَ بِالله؟ قَالَ: يَكْفُرْنَ العَشِيرَ، وَيَكْفُـرْنَ الإِحْسَـانَ، لَـوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْـتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ** » [٤٧] ، فلماذا دخلت النـار؟ بـترك شـكر نعمـة الزوج ؛ لأنها تنسى كل حسناته ، وتقول: ما رأيت منك خـيراً

(٤٦) (صحيح) أخرجه الترمذي ١٨٩٩ وصححه الألباني .
(٤٧) (صحيح) أخرجه البخاري ٢٩ ، ومسلم ٩٠٧ .

قط ، ولا تذكر له إلا عيوبه فينبغي على كل زوجة أن تحذر لعن وسب زوجها وكفران نعمته على أي إيذاء تجاهها أو تقصير حتى لا تقع تحت طائلة هذا الحديث .

شكر نعمة الولد :

لقد ضل بعض أولياء الأمور عندما اعتنوا بتنمية أموالهم ورعايتها وصيانتها وحفظها ، ثم نسوا أهلهم وأولادهم وما قيمة هذه الأموال بالنسبة للأهل والأولاد أليس من الأجدر بهؤلاء أن يخصصوا شيئا من قواهم الفكرية والجسمية لتربية أهلهم وأولادهم ، حتى يكونوا بذلك شاكرين لنعمة الولد والأهل ، فيا أيها الأب الكريم ، حتى ولو كنت أباً لطفل واحد ، بل حتى لو كنت أبا لحملٍ يتحرك في أحشاء زوجتك ، هل تدري أية نعمة أنت فيها؟! وهل تدري أي شكر أنت مطالب به؟! إياك أن تكون ممن يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها! إن واجبك هو الشكر ، والشكر ليس كلمة تقال باللسان ، بل هو عمل ، قال الباري جل وعلا: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْراً﴾ [سبأ:١٣] ، فمن شكر الولد القيام بحقه في شريعة الله تعالى ، والكثيرون منا يعلمون أن من حق الولد أن تطعمه إذا

طعمت ، وتكسوه إذا اكتسوت ، وتسقيه وتؤويه من أذى الحر ، وهذا صحيح ، ولكن أولاً: حتى هذا الطعام الذي تقدمه لـه ، وهذا اللباس الذي تمنحه له ، وهذا البيـت الـذي تؤويـه فيـه ، يجب أن تتذكر أنك مسئول بين يدي الله عز وجل يوم القيامة: من أين أطعمته؟ ومن أين ألبسته؟ وفيم أسكنته؟ وإنـه خسـار عليك أي خسار: أن تتعب في جمـع المـال في هـذه الـدنيا ، ثـم تضعه في فم ولدك ، أو تضعه ثوباً على جسده ، أو تبني به بيتـاً يؤويه ، ثم يكون ذلك عاراً عليك في الـدنيا ، ونـاراً عليـك في دار القرار ، لأنك كسبت هذا المال من حـرام ، لقـول رسـول الله ﷺ قال: « **مَنْ نَبَتَ لَحْمُهُ مِنَ السُّحت فَالنَّار أولى بِهِ**» [٤٨] .

فينبغي أيها الأب الكريم أن تعلم أنـه لا يمكـن أن تـأتي بهـذا الشكر إلا من طريق حلال يرضي الله عز وجل ، هذا إذا كنت ممن يرجو النجاة في الدار الآخـرة ، ويرجـو عاجـل بـر أولاده ونفعهم في هذه الحياة الدنيا .

وكـذلك ينبغـي علـى الوالـدين حفـظ الجميـل للأبنـاء وأن يشكروهم عليه ، ويذكروهم به ؛ حتى يتربى الأولاد على خلق

---

(٤٨) (صحيح) أخرجه البيهقي في الشعب ٥١٣٠وصححه الألباني .

البر والإحسان والشكر ، ويستمروا عليه .

شكر الناس على إحسانهم

وأيضا أن يكون خلق الشكر عند أفراد الأسرة بتقديم المعروف لكل من أسدى إليهم معروفا ، وشكر النعم بمقابلة الإحسان بالإحسان ، والمعروف بالمعروف ، ومن الأشياء التي يكون بها العبد عبداً شكوراً: أن يشكر الناس على إحسانهم إليه ، وشكر الناس على إحسانهم إليك من شكر الله تعالى ، ومن وسائل شكر الله أن تشكر الناس المحسنين إليك ، وقد صح عنه ﷺ قوله: «**وَمَنْ لَمْ يَشْكُرْ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرْ الله**»(٤٩) ، وشكر الناس أن تقابل إحسانهم بمثله ، إن كان قول أو فعل ، لأن مبدأ الشكر الاعتراف بالفضل لأهله ، فإن وجد ذلك كان لله ثم لعباده ، وإن عُدِم فليس لله ولا لعباده ، ولذلك جاء في الحديث: « **مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِهِ: جَــزَاكَ اللهُ خَيْرًا فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ**» (٥٠) .

فإذا أحسن إلينا الخلق نشكرهم ، وشكرنا لهم هو من شكرنا

---

(٤٩) (حسن صحيح) أخرجه أحمد ١٨٤٤٩ وصححه الألباني .
(٥٠) (صحيح) أخرجه الترمذي ٢٠٣٥ وصححه الألباني .

لله تعالى وداخل فيه ، ولذلك قيل لـ سعيد بن جبير : **"المجوسي يوليني خيراً أشكره؟ قال: نعم"**.

ولو كان كافراً ، لكن لا يعني هذا أن تدعو له بالرحمة والمغفرة فإنه لا يغفر لهم ما داموا على الشرك ، لكن تقول على الأقل: شكراً وإذا كان مسلماً تقول: جزاك الله خيراً ، وإذا كان عندك ما تجزيه به فأعطه ، مثلما أحسن إليك أحسن إليه ، وإذا لم يكن عند شيء فأقل شيء أن تقول له: جزاك الله خيراً ، وبعض الناس كما قلنا نفوسهم سيئة ؛ فلا يشكرون الله ولا يشكرون الخلق ، وبعض الناس يشكرون الخلق ولا يشكرون الله ، والمسلم يشكر الله ثم يشكر الناس على إحسانهم إليه .

***

٤- خلق الصداقة والأخوة في الله

أحبتي في الله الأخوة نوعان: أخوة النسب بالدم ، وأخوة العقيدة والدين ، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ (١٠)﴾ [الحجرات:١٠] ، فينبغي على أولياء الأمور الإهتمام بترسيخ معانى الأخوة في الله وحقوقها في نفوس أولادهم منذ نعومة أظفارهم ، وحتى يأتي ذلك في نفوس أولادهم ينبغي على

الوالدين أن يكونوا قدوة حسنة لأولادهم مع أصدقائهم فالقدوة الحسنة من أفضل وسائل التربية ، ونذكر من حقوق الأخوة في الله والتي ينبغي ترسيخها في نفوس الأولاد ما يلي :

١- ليس هناك صداقة بين الجنسين ، فلا صداقة ولا أخوة في الله بين الأولاد والفتيات فالولد لا يصاحب إلا ولد مثله ، والفتاة لا تصاحب إلا فتاة مثلها ، وبالطبع ينبغي على الأب أن لا يصادق نساء أجنبيات ولا يتحدث معهن إلا للضرورة ، وكذلك الأم هي الأخرى لا تصادق رجال أجانب ولا تتحدث معهم إلا للضرورة ولكن يكتفي الأب بصداقة الأم والعكس بالمثل ، لقول الله تعالى عن الزوجة : ﴿ **وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ** ﴾ [عبس :٣٦] .

٢ – مصاحبة الأخيار ، وتجنب الأشرار لقول رسول الله ﷺ : « **لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ** » (٥١) ، ولقول رَسُولِ اللهِ ﷺ : « **الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ**

---

(٥١) (حسن) أخرجه أبو داود ٤٨٣٢ وحسنه الألباني .

أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ » [٥٢] ، فينبغي على أولياء الأمور مراقبة رفقاء أولادهم ولا ننسى أن يكون الوالدين قدوة حسنة لأولادهما .

٣- معرفة حقوق الأخوة في الله ، فعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلاَمِ، وَعِيَادَةُ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ العَاطِسِ**» [٥٣] .

٤- إخبار من يحب بأنه يحبه في الله ، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، أَنَّ رَجُلًا كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنِّي لَأُحِبُّ هَذَا ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَعْلَمْتَهُ؟**» قَالَ: لَا ، قَالَ: «**أَعْلِمْهُ** » قَالَ: فَلَحِقَهُ ، فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّكَ فِي اللهِ ، فَقَالَ: أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ [٥٤] .

٣ – طلاقة الوجه عند لقاء صديقه وأخيه في الله ، ومسارعة مصافحته فهذا يعمق خلق الأخوة مع الآخرين ، لقول رسول

---

(٥٢) (حسن) أخرجه الترمذي ٢٣٧٨ وحسنه الألباني .
(٥٣) (صحيح) أخرجه البخاري ١٢٤٠ ومسلم ٢١٦٢ .
(٥٤) (حسن) أخرجه أبو داود ٥١٢٥ وحسنه الألباني .

الله : « **كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَإِنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ**» [٥٥] .

٤- النصيحة بصدق وأمانة ، فَعَنْ تميم الدارى رضي الله عنه ، أَنَّ النَّبِيَّ قَالَ: « **الدِّينُ النَّصِيحَةُ**» . قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «**لله وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**» [٥٦] .

قال الشافعى رحمه الله تعالى : من نصح أخاه بين الناس فقد شانه ، ومن نصح أخاه فيما بينه وبينه فقد ستره وزانه ، والذى بُذِلَ له النصيحة عليه أن يحسن الظن بأخيه الناصح ، ورحم الله من قال: رحم الله من أهدى إليَّ عيوبي .

٥ – مشاركة الأخ المسلم في أحزانه وأفراحه فيقف بجواره ليواسيه في الحزن وليهنئه في الأفراح ، فلا يكون الأخ المسلم في مصيبة وهو يبكي وأنت بجانبه تضحك ، وتقول أمامه الطرائف والنكت ، ولو أنه فرح ، ماذا تفعل؟ تشاركه أيضاً في الفرح ، لقول الله تعالى : ﴿ **وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى** ﴾ [المائدة :٢] .

---

(٥٥) (صحيح) أخرجه الترمذي ١٩٧١ وصححه الألباني .

(٥٦) (صحيح) أخرجه مسلم ٥٥ .

٦- عدم إيذاء الأخ المسلم بقول أو فعل ، وعدم تتبع عورته أو غيبته ، لقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾[الحجرات :١٢] ، ولقول رسول الله ﷺ : «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ» (٥٧) .

٧- دفع غيبة الأخ المسلم ، بمعنى أن يدفع عن عرضه إذا كان غائبا ، لقوله ﷺ: «مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » (٥٨) ، وعدم خيانته لقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٥٨] ، وحفظ سره وستره لقول رسول الله ﷺ : «وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٥٩) .

(٥٧) (حسن صحيح) أخرجه أبو داود ٤٨٨٠ وصححه الألباني .
(٥٨) (صحيح) أخرجه الترمذي ١٩٣١ وصححه الألباني.
(٥٩) (صحيح) أخرجه البخاري ٢٤٤٢ ، ومسلم ٢٥٨٠.

٨ – إفشاء السلام فالسلام من أسباب المحبة بين الناس ، لقول رسول الله ﷺ : « **أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**» (٦٠) .

٩ – تقديم الهدايا للأخ المسلم تعبيرا عن الحب والود فالهدية سبيل للمحبة لقول رسول الله ﷺ : «**تَهَادُوا تَحَابُوا**»(٦١) .

١٠– نصرة الأخ المسلم إذا إحتاج النصرة وعدم خذلانه ، وعدم تحقيره أوتسفيهه بأي صورة ، فَعَنْ أَنَسٍ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « **انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا**» ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ ، نَصَرْتُهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ أَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: «**تَكُفُّهُ عَنِ الظُّلْمِ، فَذَاكَ نَصْرُكَ إِيَّاهُ**» (٦٢) ، ولقول رسول الله ﷺ : «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ ، وَلَا يَحْقِرُهُ**»(٦٣) جاء في شرح النووي لهذا الحديث : قال العلماء الخذل ترك الإعانة والنصر

---

(٦٠) (صحيح) أخرجه مسلم ٥٤ .
(٦١) (حسن) أخرجه أبي يعلى ٦١٤٨ وحسنه الألباني .
(٦٢) (صحيح) أخرجه البخاري ٢٤٤٣ ، ومسلم ٢٥٨٠.
(٦٣) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٥٦٤.

ومعناه إذا إستعان به في دفع ظالم ونحوه لزمه إعانته إذا أمكنه ولم يكن له عذر شرعي .

١١- عدم البيع على بيعه ، أوالخطبة على خطبته بمعنى أن لا تخطب على خطبته ، حتى ينكح ، أو يتراجع عن الخطبة ، فإن فِعْل ذلك مما يوغر الصدر ، ويسبب العداوة ، ويذهب الأخوة ، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « **لَا يَبِعِ الرَّجُلُ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ، وَلَا يَخْطُبْ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ، إِلَّا أَنْ يَأْذَنَ لَهُ**»(٦٤)

١٢- القناعة وغنى النفس فلا يتطلع لما في يد أخيه المسلم ، فَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي الله وَأَحَبَّنِي النَّاسُ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ الله وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّوكَ**»(٦٥) .

١٣- إعانته على قضاء حوائج الدنيا والتعاون معه على الخيروالإجتهاد على منفعته ، قال تعالى: ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى** ﴾ [المائدة: ٢] ، وقد قال رسول الله ﷺ: «**مَنِ اسْتَطَاعَ**

---

(٦٤) (صحيح) أخرجه مسلم ١٤١٢.

(٦٥) (صحيح) أخرجه ابن ماجه ٤١٠٢ وصححه الألباني .

مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَنْفَعْهُ »[٦٦] ، واسمع إلى هذا الحديث الذى تتلألأ منه أنوار النبوة: من حديث ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَجُلا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله ، أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى الله؟ وَأَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى الله؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى الله تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى الله تَعَالَى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ الله عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلأَ الله قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَتَهَيَّأَ لَهُ أَثْبَتَ الله قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الأَقْدَامِ»[٦٧] .

١٤ – يبر قسم أخيه المسلم طالما أن هذا القسم ليس فيه حرمة شرعية ، ولا تَعَدٍّ ، ولا ضرر ، فَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه ، قَالَ: "أَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ بِسَبْعٍ ، وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ: «أَمَرَنَا بِاتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ، وَعِيَادَةِ الْمَرِيضِ، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي، وَنَصْرِ الْمَظْلُومِ،

(٦٦) (صحيح) أخرجه مسلم ٢١٩٩.

(٦٧) (صحيح) أخرجه الطبراني في الكبير ١٣٦٤٦ وصححه الألباني .

وَإِبْرَارِ القَسَمِ، وَرَدِّ السَّلاَمِ، وَتَشْمِيتِ العَاطِسِ.. » [٦٨] .

١٥ – يشفع ويتوسط لأخيه طالما أن هـذه الشـفاعة لا تضـر بآخر ، فَعَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا جَـاءَهُ السَّائِلُ أَوْ طُلِبَتْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ قَالَ: «**اشْفَعُوا تُـؤْجَرُوا وَيَقْضِي اللهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ مَا شَاءَ**» [٦٩] .

١٦ – الدعاء له بظهر الغيب ، وقد قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ دَعَا لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْـبِ، قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّـلُ بِـهِ: آمِينَ، وَلَـكَ بِمِثْلٍ**» [٧٠] .

١٧ – يصلح بين المتخاصـمين وحتـى لـو اسـتلزم الأمـر إلى الكـذب ، فلـيس الكـذاب الـذي يصـلح ذات الـبين بـين المتخاصمين فالمؤمنون اخوة قال تعـالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠)**﴾ [الحجرات:١٠] .

---

(٦٨) (صحيح) أخرجه البخاري ١٢٣٩ ومسلم ٢٠٦٦ .
(٦٩) (صحيح) أخرجه البخاري ١٤٣٢ .
(٧٠) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٧٣٢.

١٨- عدم هجران الأخ المسلم أكثر من ثلاثة أيام بغير مبرر شرعي ، فإن ذلك لا يحل ، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**لَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ الله إِخْوَانًا، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ**» (٧١) .

١٩- التجاوز عن زلاته ، بمعنى التجاوز عن هفواته وأخطائه إذا كانت أمورا تافهة ، ومسامحته إذا أخطأ في حقك ، وهذا من أعظم الحقوق: فالأخ ليس مَلَكاً مقرباً ، ولا نبياً مرسلاً ، فإن زل الأخ فاستر عليه ، قال تعالى : ﴿**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾[آل عمران :١٣٤] .

٢٠- تعاهده بالسؤال عنه إذا غاب عن المسجد أو عن عمله ، وأن يطمئن على أحواله ، ويتفقده بالزيارة في الله تعالى ، فقد يكون محتاجا إلى المساعدة .

---

(٧١) (صحيح) أخرجه البخاري ٦٠٦٤ ، ومسلم ٢٥٥٨ . .

الصداقة الإيجابية في محيط الأسرة

الصحبة الطيبة بين الزوج والزوجة

عندما يكون الزوجان أصدقاء في المقام الأول فإن الأمور تسير طبيعية من تلقاء نفسها ، فالصداقة تحتم على كل صديق أن يدعم صديقه وأن يحتمله ويعطف عليه ، ويلتمس له العذر ، فعن عَمْرُو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ، بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السُّلاَسِلِ ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: "أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «**عَائِشَةُ**» ، فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: « **أَبُوهَا** » ، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ** فَعَدَّ رِجَالًا» [(٧٢)] .

ويمكننا أن نفهم من هذه المصارحة أن السيدة عائشة هي الصاحبة الحبيبة في المنزل ، وأبا بكر هو الصديق الحميم من الرجال .

فأنت أيها الزوج الكريم ، إذا أردت أن تكسب زوجتك وتحول الزواج إلى سعادة تلو سعادة فلابد أن تعامل زوجتك معاملة البشر فتستشيرها في أمورك وتشركها في قراراتك ، وتجلس معها لتبث لها همومك ، وتسمع منها همومها ، تمزح

(٧٢) (صحيح) أخرجه البخاري ٣٦٦٢ ، ومسلم ٢٣٨٤ . .

معها وتمزح معك ، وتشعرها بأنها صديقتك وتقبل عـذرها إن أخطأت ، وتقدم لها الهدية بين فـترة وأخـرى ، وتحـترم آراءهـا واقتراحاتها وتناديها بأحب الأسماء إليها ، وتتـودد إليهـا كمـا تتودد إليك ، ولا يظن أحد أن في ذلك إهانة للرجل أو انتقاصا من قدره أو تنازلاً عن قوامته ، بل هذا جزء أصيل من الرجولة والقوامة ، فلا خير في رجولة لا تراعي طبيعـة المـرأة ، وَعـَـنْ عَائِشَــةَ ، قَالَتْ: قَالَ رَسُــولُ اللهِ ﷺ: «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي**» (٧٣) .

وعليك أن تذكّر نفسـك بـأن هـدفك هـو أن تعامـل زوجتـك بعطف وتقدير واحترام تمامًا كما تعامل أقرب أصدقائك ، ومن الأهمية بمكان أن تتذكر كيف يتعامل الأصدقاء مع بعضهم ثم تحاول تطبيق هذا في علاقتك مع شريكة الحياة .

وأنت أيتها الزوجة الكريمة كوني صديقة لزوجـك ، فلمـاذا لا تكونين صديقة لزوجك؟

(٧٣)(صحيح) أخرجه الترمذي ٣٨٩٥ وصححه الألباني .

لماذا لا تكونين له الصديقة التي تعفه عن النظر لغيرها من النساء فيراها دائما في أجمل صورة ، وتنسيه مشاكله وقلقه عندما يتحدث إليك ، فتكوني قادرة على تخفيف الحزن عنه وإضحاكه وتوسعة صدره ، بل ويستمد منك النشاط والحماس وأنتِ كذلك تشاركين زوجك في إهتماته ، وقادرة على فهم وجهة نظره وأفكاره ، ولديك خبرة في أمور كثيرة ، تمدين له يد العون والمشورة والنصيحة ، بل أيضا تذكرينه بمواعيده ولقاءاته الهامة والمناسبات العائلية وغير ذلك من يوميات الحياة .

الصداقة بين الوالدين وأولادهما

وكذلك ينبغي للوالدين محاولة توفير علاقة الصداقة بينهما وبين الابن المراهق فهذا يزيد من معرفة الآباء والأمهات بأبنائهم وبناتهم فتستطيع كل الأسرة أن تستمتع بالاشتراك في عمل الأشياء المشتركة .

وإلى الأم أقول إن للصداقة مهارات تكسر حاجز الخلافات بينك وبين ابنتك ، فمن هذه المهارات : التعبير عن حبك لابنتك واهتمامك بها ، ومداعبتك لها ومشاركتها في بعض

الأنشطة ، وابداء التعجب من لبسها وحديثها بين الحين والآخر ، لعمل لغة حوار مشتركة بينكما ، وأن تحسني الإستماع لها وهي تتحدث إليك وكذلك وهي تشتكي لك همومها ، وتعطيها النصائح بينك وبينها بين الحين والآخر ، ومن هذه النهاية ستكون البداية من الأم الصديقة لفهم شخصية ابنتها .

وبالمثل بالنسة للآباء مع أولادهم الذكور حتى تحدث الصداقة بينهم ومن ثم يسهل على الآباء توجيه وإرشاد الأولاد ونصحهم .

وكذلك ينبغي للوالدين أن يجتهدا في ترسيخ معنى الصداقة بين الأولاد وبعضهم وبين البنات وبعضهن ، وعلى كل حال إذا توفرت الصداقة بين الزوج والزوجة ، وكذلك الصداقة بين الوالدين وأولادهما المراهقين ، فمن المؤكد في هذا الجو الأسرى الدافيء ستتوفر الصداقة والأخوة في الله تعالى بين الأولاد بعضهم البعض ، وبين الفتيات بعضهن البعض .

❊ ❊ ❊

٥- خلق الصدق

أيها الأب الكريم ، كن صادقاً مع أولادك في التعامل ، فإذا سمعوك تحدثهم حديث الصدق غير الكذب أِلفوا الصدق منك ونقلوه وتحلوا بالصدق ، وإن رأوك كاذباً تخبرهم بغير الواقع وتحدثهم بما لا يكون ، وتحاول أن تخبرهم بالأخبار التي لا أصل لها ولا أساس فإنهم يقتدون بك .

أيها الأب الكريم ، كن صادقاً في تعاملك مع الآخرين ، فإن رأى الأبناء منك صدقاً في المعاملة وأداء حقوق الناس فإنهم يحرصون على هذا الخلق الكريم .

أخي الحبيب ، الصدق يشمل: الصدق في النية بأن تكون خالصة لله تعالى ، والصدق في الأقوال والصدق في الأعمال ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: والصدق أساس الحسنات وجماعها ، والكذب أساس السيئات ونظامها .

والصدق في الأعمال وهو أن يصدق العبد أقواله بأعماله وأفعاله قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتاً عِندَ الله أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ(٣)﴾[الصف:٣] .

وللأسف كثيرًا ما يكذب الوالدان على أولادهما الصغار ؛ رغبةً في التخلص منهم ، فإذا قال الولد لأبيه إشتري لي كذا قال الأب حاضر ولا يشتريها له ، أو تخويفاً لهم ؛ كي يكفُّوا عن العبث واللعب ، أو حافزا لهم كي يجِدّوا في أمر ما ، أو غير ذلك ، وهذا مما لاشك فيه له أثر سيء على الأولاد .

وقد تجد الأولاد قد تعلموا من أولياء أمورهم استعمال المعاريض أي التورية في غير محلها ، لاشك أن المعاريض مندوحة عن الكذب ولكن تباح عند الحاجة الشرعية فقط ، وهي كذب باعتبار الأفهام ؛ وإن لم تكن كذباً باعتبار الغاية السائغة ، لقول رسول الله ﷺ: «**لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَطُّ إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ، ثِنْتَيْنِ فِي ذَاتِ اللهِ، قَوْلُهُ: إِنِّي سَقِيمٌ، وَقَوْلُهُ: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا، وَوَاحِدَةٌ فِي شَأْنِ سَارَةَ، فَإِنَّهُ قَدِمَ أَرْضَ جَبَّارٍ وَمَعَهُ سَارَةُ، وَكَانَتْ أَحْسَنَ النَّاسِ، فَقَالَ لَهَا: إِنَّ هَذَا الْجَبَّارَ، إِنْ يَعْلَمْ أَنَّكِ امْرَأَتِي يَغْلِبْنِي عَلَيْكِ، فَإِنْ سَأَلَكِ فَأَخْبِرِيهِ أَنَّكِ أُخْتِي، فَإِنَّكِ أُخْتِي فِي الْإِسْلَامِ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ مُسْلِمًا**

غَيْرِي وَغَيْرَكِ» (٧٤)، وبها أحتج العلماء على جواز التعريض للمظلوم ، عند الإضطرار لحاجة شرعية ، ولكن نتيجة لاستعمال الأبوين المعاريض في غير محلها أو تعليمهم إياها لأولادهم وهم في سن صغيرة ، فإن الأولاد قد يستخدموا المعاريض في غير محلها كذلك ، فإذا قال الأب للولد أصليت العصرمثلا؟ قال الولد : نعم وهو يقصد عصر اليوم السابق ، وإذا قال له زرت عمتك مثلا ؟ قال : نعم وهو يقصد أنه زارها من شهر ، وهكذا وهذا مما لاشك فيه كذب .

لذلك فالتوسع في المعاريض يفتح باب شر عريض إذا لم تستخدم بضوابطها الشرعية .

وقد تجد الرجل يحدث الحديث الكذب ليضحك الآخرين فتغدو في الآفاق وتنتشر ، ولقد حذر رسول الله ﷺ من ذلك فقال: **«وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ»** (٧٥) .

---

(٧٤)(صحيح) أخرجه البخاري ٣٣٥٨ ومسلم ٢٣٧١ واللفظ لمسلم.

(٧٥) (حسن) أخرجه أبو داود ٩٩٠ وصححه الألباني .

فضائل الصدق

أولاً: أنه سبب للطمأنينة ، فَعَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ : «**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ**» (٧٦) .

ثانياً: هو الفارق بين المؤمن والمنافق ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ:إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**» (٧٧) .

ثالثاً: لا ينفع يوم القيامة إلا الصدق ، قال تعالى: ﴿**قَالَ الله هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِيَ الله عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [المائدة:١١٩] .

رابعاً: الصدق أصل كل بر ، ومجاهدة النفس على تحري الصدق توصلها إلى مرتبة الصديقية ، فَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا، وَإِنَّ**

---

(٧٦) (صحيح) أخرجه الترمذي ٢٥١٨ وصححه الألباني .

(٧٧) (صحيح) أخرجه البخاري ٣٣ ، ومسلم ٥٩ .

الْكَـذِبَ يَهْـدِي إِلَى الْفُجُـورِ، وَإِنَّ الْفُجُـورَ يَهْـدِي إِلَى النَّـارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله كَذَّابًا» (٧٨) .

خامسًا : الكذب جائز في ثلاثة أمور ، فَعَـنْ أَسْـمَاءَ بِنْـتِ يَزِيـدَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**لَا يَحِلُّ الْكَذِبُ إِلَّا فِي ثَـلَاثٍ: يُحَدِّثُ الرَّجُلُ امْرَأَتَـهُ لِيُرْضِـيَهَا، وَالْكَـذِبُ فِي الْحَـرْبِ، وَالْكَـذِبُ لِيُصْلِحَ بَيْنَ النَّاسِ**» (٧٩) ، أصلح بين النـاس ولـو قلـت لأحـد الخصمين: إنه يحسن الظن بك ، وهو ليس كذلك ، ولو قلـت: أنه يـذكرك بخـير ، وإن لم يـذكره إلا بخـير قليـل ؛ لأن في هـذا القـول هـدفاً هـو أسمـى وأعلـى ، إنـه هـدف ألفـة المسـلمين وأخوتهم ووحدتهم .

تربية الأولاد على الصدق

ومن الأسباب التي تساعد على تعليم الأولاد الصدق :

١ – **القدوة الحسنة :** وهي من أعظم وسائل التربية ، فلا يمكن أبداً أن يتعلم الولد الصدق إذا رأى أباه يكذب ، وقد علمنا

---

(٧٨) (صحيح) أخرجه البخاري ٦٠٩٤ ، ومسلم ٢٦٠٧ .

(٧٩) (حسن) أخرجه الترمذي ١٠٣٩ وحسنه الألباني .

النبى ﷺ أن نكون صادقين مع أولادنا حتى نزرع فيهم شجرة الصدق فتثمر فى حياتهم أحلى الثمار وأشهاها ، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَامِرٍ ، أَنَّهُ قَالَ: دَعَتْنِي أُمِّي يَوْمًا وَرَسُولُ اللهِ ﷺ قَاعِدٌ فِي بَيْتِنَا ، فَقَالَتْ: هَا تَعَالَ أُعْطِيكَ ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **وَمَا أَرَدْتِ أَنْ تُعْطِيهِ؟** » قَالَتْ: أُعْطِيهِ تَمْرًا ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **أَمَا إِنَّكِ لَوْ لَمْ تُعْطِهِ شَيْئًا كُتِبَتْ عَلَيْكِ كِذْبَةٌ** »[٨٠] ومن مظاهر الصدق ألا يكذب الأب على ولده مهما كان السبب ؛ لأن الأب إذا كان صادقاً اقتدى به أولاده ، وإن كان كاذباً ولو مرة واحدة أصبح عمله ونصحه هباء ، وعليه الوفاء بوعده للطفل ، فإن لم يستطع فليعتذر إليهم ، ويجب الحذر من أن يقول لولده سأعمل كذا إن شاء الله ؛ وهو عاقد النية على أن لايعملها ، لأن هذا يؤدي إلى حدوث نفور للأولاد من كلمة إن شاء الله في المستقبل .

وبعض الأطفال يتعلم الرياء بسبب الأب الذي يتظاهر أمام

---

(٨٠) (حسن) أخرجه أبو داود ٤٩٩١ وحسنه الألباني .

الناس بحال من الصلاح أو الخلق أو الغنى أو غيرهما ثم يكون حاله خلاف ذلك بين أسرته .

٢- معالجة مشكلة الكذب عند الأولاد بالحكمة ؛ حيث يلجأ الأطفال عادة للكذب لكي يتجنبوا العقاب الناتج عن إقترافقهم بعض الأخطاء ، أو للحصول على مزايا عينية أو معنوية لا تتأتى إلا بذلك في ظنهم ، أو تقليد الآباء ، أو ضعف الوازع الديني عند الأطفال .

والكذب عند الأطفال يأخذ عدة أشكال كأن يقلب الحقيقة أو يبالغ أو يغالط الطفل والده بشدة ، أو يتحدث بشيء لم يفعله ، أو يتكلم بشيء جزء منه صحيح وجزء غير صحيح ، أو يوقع اللوم على غيره فيما فعله هو .

وللوقاية من الكذب يجب تجنب إستجواب الطفل عن أشياء قد تعرضه للعقاب ، ويمكن تفادي ذلك بجمع الحقائق من مصادر أخرى ، ووضع القرارات بناءً على هذه الحقائق ، وفي حالة خطأ الطفل يجب تجنب العقاب الذي يبدو للطفل أنه لو كذب لعفي من هذا العقاب ، وكذلك يجب تعظيم الصدق في نفس الطفل ومناقشة الحكمة والمغزى من الصدق .

ويمكن علاج آفة الكذب بمسامحة الطفل إذا قال الحقيقة ومعاقبته عقاباً مناسباً إذا غير الحقيقة .

٣- إختيار الصحبة الطيبة للأولاد ؛ فيجب على ولي الأمر متابعة رفقاء الأولاد وتجنيبهم الرفقة السيئة فهي مصدر كل بلية ، فالمرء على خليله ، فإذا رأى الطفل صديقه يكذب قد ينتقل له هذه الخصلة السيئة .

٤- أن يقص الوالدين على أولادهما قصص عن الصادقين والصادقات ؛ حتى يتبين لهم أن الصدق منجاة والكذب مهلكة ، ويتبين لهم أن أعظم ما في الصدق أنه يقود صاحبه إلى الجنة ، وهذا هو الفوز العظيم ، فهذا هو الرّبح الأوفر لأهل الصدق ، وأي ربح أعظم من الجنة ، فمن المناسب قص بعض القصص البسيطة للأطفال ليتبين لهم مصير الكاذبين على سبيل المثال قصة الطفل الذي ذهب ليسبح في النهر فيتظاهر للناس أنه يغرق فينزل الناس لينقذوه فيتبين لهم أنه يكذب ، ويتكرر هذا الفعل من الطفل عدة مرات وفي أحد المرات تعرض الطفل للغرق حقاً فلما طلب النجدة من الناس لم يسارعوا بنجدته والنتيجة أنه غرق ، وقصة الراعي الذي يرعي الغنم

فكان من حين لآخر يطلب النجدة من أهل القرية لينقذوه وغنمه من الذئب كذبا فعندما يحضر أهل القرية لينقذوه يتبين لهم أنه يكذب ، وفي مرة من المرات جاء الذئب ليأكل غنم هذا الراعي فنادي الراعي على أهل القرية لينقذوه فلم يستجيبوا له لتكرار كذبه فأكل الذئب الغنم ، وأصبح معروفا في القرية بكذبه فيقولون له : يا شهاب يا كذاب تستاهل أكل الذئاب ، وإذا كبر الأطفال يمكن قص قصة يوسف عليه السلام عليهم وما فيها من إفتراءات وكذب من أخوة يوسف ، وإمرأة العزيز وكيف أن الله تعالى نجى يوسف عليه السلام ومكن له في الأرض لصبره وتقواه ، وكيف أن الله تعالى كشف كذب هؤلاء ، وكذلك يمكن قص قصة الذين خلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وكيف أن الصدق كان سببا لنجاتهم من عذاب الله تعالى وهكذا فنزل قول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ(١١٩)﴾ [التوبة :١١٩] .

❊ ❊ ❊

٦- خلق التقوى

يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بتقوى الله وأن يتقربوا إليه بالطاعات والأعمال الصالحة والجهاد في سبيل الله حتى يفوزوا بالجنة ، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣٥) ﴾ [المائدة: ٣٥] .

وكذلك يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بتقوى الله وملازمة القول السديد في جميع الأحوال والشؤون الموافق للصواب ، فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) ﴾ [الأحزاب:٧٠] .

صفات المتقين

١ – أنهم يؤمنون بالغيب ، ويقيمون الصلاة ، وينفقون مما آتاهم الله ، ويؤمنون بالكتب المنزلة ، ويؤمنون بالآخرة ، قال الله تعالى: ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة: ٢ – ٤] .

٢ – أنهم يعفون ويصفحون ، كما قال تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [البقرة: ٢٣٧] .

٣ – لا يقترفون الكبائر ولا يصرون على الصغائر ، فهم غير معصومين من الخطايا إلا من عصمه الله تعالى من الأنبياء ، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١] .

٤ – أنهم يتحرون الصدق ، فهم أصدق الناس إيماناً وأصدقهم أقوالاً وأعمالاً وهم الذين صدقوا المرسلين ، قال تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاء بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣] .

٥ – أنهم يعظمون شعائر الله ، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ الله فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٢] ، قال القرطبى: الشعائر جمع شعيرة وهى كل شيء لله تعالى فيه أمر أشعر به وأعلم .

٦ – أنهم يتحرون العدل ويحكمون به ولا يحملهم بغض أحد على تركة ، قال الله تعالى: ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى

أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ الله إِنَّ الله خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُون﴾ [المائدة: ٨] .

٧ - أنهم يتبعون سبيل الصادقين من الأنبياء والمرسلين وصحابة سيد الأولين والآخرين ﷺ، قال الله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ الله وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] .

ثمار التقوى

إخوتي في الله ، لقد ذكر الله تعالى في كتابه ثماراً مختلفة للتقوى نذكر منها:

١- محبة الله تعالى ، قال تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ الله يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:٧٦] .

٢- سبب لعون الله ونصره وتأييده، قال تعالى: ﴿إِنَّ الله مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨] .

٣- حصن الخائف وأمانه في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف:٣٥] .

٤- تبعث في القلب النور وتقوي بصيرته فيميز بين ما ينفعه وما

يضره، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً﴾ [لأنفال:٢٩] .

٥- تعطي العبد قوة لغلبة الشيطان، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [لأعراف:٢٠١] .

٦- توسيع الرزق وفتح مزيد من الخيرات، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [لأعراف:٩٦] .

٧- تفريج الكرب وتيسير الأمور، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾ [الطلاق: ٢] .

٨- أن العاقبة للمتقين في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص:٨٣] .

٩- أنها أفضل ما يتزود به العبد في طريقه إلى الله، قال تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ

التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة:١٩٧] .

١٠- كل علاقات الأخلاء تنتهي يوم القيامة إلا علاقات المتقين ، قال تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:٦٧] .

خلق التقوى في محيط الأسرة

إن الأسرة المسلمة الصالحة ، هي التي يتربى أفرادها تربية إسلامية ، حتى تؤسَسُ الأسرة على التقوى ، ولا سبيل إلي إلى ذلك إلا بوجود زوجين صالحين تربى كل منهما على تقوى الله جل وعلا .

ولهذا كان الواجب الأول عند إرادة الزواج ، أن يبحث الزوج الصالح عن المرأة الصالحة ذات الدين الحق ، وأن يختار ولي الأمر للمرأة الصالحة الزوج الصالح ، حتى يسكن كل منهما إلى الآخر ، وتتحقق بينهما المودة والرحمة ، وتنشأ ذريتهما على التقوى والخلق الحسن ، تحقيقا لقول الله عز وجل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١] .

وينبغي على ولي الأمرأن يبني بيته على تقوى الله وطاعته ، والدعاء المستمرّ بأن يصلح الله الزوجة والأولاد ؛ لأنَّ للدعاء سرًّا عجيبًا في صلاح حياة المؤمن ، الذي يتجه إلى ربه بصدق ويقين ، وسيجد تحسُّنًا كبيرًا في حياته كلها .

وينبغي على الوالدين تقوى الله في حالة الطلاق: فإذا قدر بينهما الطلاق فعليهما بتقوى الله ، وألا يجعلا الأولاد ضحية لعنادهما وشقاقهما ، وألا يغري كلُّ واحد منهما بالآخر ، بل عليهما أن يعينا الأبناء على كل خير ، ويوصي كل واحد منهما الأولاد ببر الآخر ، بدلاً من التحريش ، وإيغار الصدور ، وتبادل التهم ، وتأليب الأولاد ، وإلا فإن النتيجة الحتمية في الغالب أن الأولاد يتمردون على الجميع ، والأخطر من ذلك أن بعض الزوجات ضيقي العقول إذا حدث بينها وبين زوجها أية مشكلة سرعان ما تحرض أولادها على زوجها ، النتيجة الحتمية في الغالب أن الأولاد يتمردون على الأبوين معًا ، وبعض النساء ضيقي العقول إذا حدث بينها مشكلة مع زوجها تهدد الزوج بأهلها وهذه كله من أسباب غياب التقوى والمودة والرحمة في محيط الأسرة .

وهناك عدة وسائل لتعميق التقوى في نفوس الأولاد نذكر أولياء الأمور بها حتى يجتهدوا في زرعها في أولادهم منذ نعومة أظفارهم :

١ - محبة الله عز وجل من أعظم أسباب التقوى ، ومحبة الله تعالى يمكن أن تأتي عند الأولاد بكثرة التحدث معهم عن نعم الله تعالى عليهم ، فالله سبحانه وتعالى هو صاحب كل النعم .

٢ - أن يدرب الوالدين أولادهما على المراقبة ليستشعروا اطلاع الله عز وجل عليهم في كل وقت وكل مكان ؛ فيستحوا عند ذلك من المعصية ويجتهدوا في الطاعة ، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَالله بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤] ، تأملوا أننا ربينا أولادنا على تقوى الله وذلك بمراقبته ، كما فعل هذا الأستاذ الماهر ليربي تلاميذه على تقوى الله ومراقبته ، فإذا بهذا الأستاذ المبارك يعطي أربعة من الطلبة النجباء طيراً فيقول لهم اذهبوا وكل منكم يذبح هذا الطير في مكان لا يراه فيه أحد فذهب الأول وذبح ، وذهب الثاني وذبح ، وذهب الثالث وذبح ، أما الرابع فذهب ثم رجع دون أن يذبح ، وقال ما استطعت أن أذبح لأنني لم أجد مكاناً لا

يراني فيه الله سبحانه وتعالى ، ليتنا نربي أولادنا على مراقبة الله سبحانه وتعالى عند ذلك نرتاح راحة عظيمة .

٣ – يجتهد الوالدين في تعريف أولادهما أن كل شر في الدنيا والآخرة بسبب الذنوب والمعاصي والآثام ، فيتعلم الأولاد كيف ينتصروا على هواهم ويطيعوا مولاهم جل وعلا ، ويجب على ولي الأمر أن يتحرى الحلال الطيب ، وأن يمتنع عن الحرام ، وأن يتقي الشبهات حتى يبارك الله تعالى في الذرية قال بعض السلف: "لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يدع مالا بأس به حذراً مما به بأس"، وقال بعض الصحابة: "كنا ندع سبعين باباً من الحلال مخافة أن نقع في باب من الحرام"، وكان نساء السلف الصالح إذا خرج زوج إحداهن من بيته تقول له: "اتق الله فينا ولا تطعمنا حراماً ؛ فإننا نصبر على الجوع ، ولا نصبر على نار جهنم" .

٤ – يجتهد الوالدين في تعريف أولادهما مكائد الشيطان ومصائده ، قال العلامة ابن مفلح المقدسى رحمه الله: اعلم أن الشيطان يقف للمؤمنين في سبع عقبات ، عقبة الكفر ، فإن سلم منه ففى عقبة البدعة ، ثم في عقبة فعل الكبائر ، ثم في

عقبة فعل الصغائر ، فإن سلم منه ففى عقبة فعل المبيحات فيشغله بها عن الطاعات ، فإن غلبه شغله بالأعمال المفضولة عن الأعمال الفاضلة ، فإن سلم من ذلك سلط عليه الأعداء الفجرة بأنواع الأذى .

وعلى الأسرة منع البنين من التشبة بالفتيات ولا التشبه بالكفار ، ومنعهم من الاختلاط بالنساء بل ينبغي أن يعيش الابن في محيط الذكور ، خصوصًا إذا بدأ الابن في التمييز .

كذلك على الأسرة منع الأولاد وتحذيرهم من مشاهدة واقتناء أفلام الحب أو العنف والتي تبارك الحب الحرام ، والعلاقات المشبوهة .

وعلى الأسرة أن توضح للولد أن هذا الحب الذي تروجه الأفلام والمسلسلات والروايات إنما هو حب شهوة ، وهو مرفوض ولو كان باسم الزمالة والخِطبة .

كذلك على الأسرة أن تحمي أولادها من الصحف والمجلات التي تبرز الصور الخليعة ، وتنشر قصص العبث واللهو والحذر من أولئك الذين ينشرونها بين الناس مما أفسد عقول الأولاد وأفكارهم .

أخيراً على الأسرة أن تربي في الأولاد الشعور بأنهم مسؤولون أمام الله تعالى عن أعمالهم وسلوكهم ، وأن يشعروا برقابته الدائمة معهم في كل لحظة وأنه يعلم السر وأخفى ، ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ [غافر:١٩] .

٥- وينبغي على الأسرة تعليم بناتهم تقوى الله فعلى الأسرة مثلاً نصح البنات منذ الصغر على الحجاب وتدريبهن عليه ، ثم إذا بلغن الحلم فعلى الأسرة أن تلزمهن بالحجاب وبالحشمة وستر العورات لقوله تعالى: ﴿ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾ [النور:٣٠] .

ويجب تحذير البنت من التبرج عن طريق الإقناع وغرس أوامر الله ورسوله في نفسها ، لأن هناك البعض من الفتيات قد دُربن على أن الحجاب عادة من العادات لذلك ترى بعضهن يخرجن من بيوت آبائهن بأكمل حشمة ، حتى إذا ابتعدن عن المنزل خلعن الحجاب رداء الحياء وظهرن للأعين في أقبح صورة من الفتنة والإغراء .

إذن على الأسرة أن تعلم البنات أن الحجاب أمر من أوامر الله

ومن لا تستجيب لهذا الأمر فهي منافقة لقول رسول الله ﷺ : : «وَشَرُّ نِسَائِكُمُ الْمُتَبَرِّجَاتُ الْمُتَخَيِّلَاتُ وَهُـنَّ الْمُنَافِقَـاتُ لَا يَـدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْهُنَّ، إِلَّا مِثْلُ الْغُرَابِ الْأَعْصَمِ »[(٨١)] ، كذلك على الأسرة أن توضح للبنت أن الحجاب لم يفرض لانعدام الثقة في النسـاء والبنات ، وإنما هو حماية لهن من أصـحاب القلـوب المريضـة ، وحماية للرجال من ما يقع أبصارهم عليه من الفتنة والإغـراء ، لهذا يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعـاً فَاسْـئَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ ذالِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُـوبِكُمْ وَقُلُـوبِهِنَّ ﴾ [الأحـزاب: ٥٣] .

وعلى الأسرة منع الفتيات من الاخـتلاط بالشـباب فالبنـت لا تكون في محيط الإناث ، وكذلك منعها من التشبه بالرجـــال ، ومنعهن التشبه بالكافرات .

وأن تغـرس الأسـرة في بنـاتهم أيضـاً حـب الله والخـوف منـه والرغبة في ثوابه ، والرهبـة مـن عقابـه لقولـه تعـالى: ﴿ نَبّـىء عِبَادِى أَنّى أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَـذَابِى هُـوَ الْعَـذَابُ الألِـيمُ ﴾

(٨١) (صحيح) أخرجه البيهقي في السنن ١٣٤٧٨ وصححه الألباني .

[الحجر:٤٩-٥٠] ، وقد ثبت - وهذا شيء ملاحظ - أن قلوب البنات والنساء أسرع إلى التأثر بالدين وتعاليمه من الرجال .

* * *

٧- خلق اليقين والتوكل على الله

الأخوة الفضلاء ، اليقين منزلة يحبها الله تبارك وتعالى ، ويريد من عباده أن يبلغوها ، فإبراهيم عليه السلام كان مؤمناً بدليل أن الله تعالى قال عنه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام:٧٤] ، لكن الله أراد أن يزيده إيماناً بهذا ، وأن يجعله من الموقنين ، وهي درجة عليا ومرتبة عظمى ، فجعل الله تعالى وسيلة ذلك أن يريه ملكوت السماوات والأرض ، ولهذا يقول الله عز وجل : ﴿كَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام:٧٥] ، فبعد أن أيقن واستيقن به ، جزم جزماً قاطعاً أن قومه على ضلالة وتبرأ منهم ، ورفع الله تبارك وتعالى حجته عليهم ، ودحض شبهاتهم ، وأيقن أن الأمن والاهتداء لا يكون إلا للمؤمنين ، ولا حظَّ فيهما لأحد من المشركين ، ولعلنا نتساءل: كم كان مقدار اليقين الذي كان عند الخليل

إبراهيم عليه السلام ، لقد أُمر إبراهيم عليه الصلاة والسلام بذبح ابنه في رؤيا في منامه قال تعالى : ﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ [الصافات١٠٢] ، فلم يقل: لعلها من الشيطان أو كذا ، أو أنام الليلة فإن تكررت فعلت ، ولكن اليقين جعله يمتثل ، وامتثل ابنه اسماعيل عليه السلام كذلك قال تعالى عنه : ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ [الصافات:١٠٢] ، فقد حصل اليقين عند الأب ، وكذلك حصل اليقين عند الابن ، وهذه هي الدرجة التي يريدها الله تبارك في أنبيائه وأوليائه .

ولقد عَلَّم رسول الله ﷺ صحابته الكرام كيفية التوكل على الله ﷻ في سائر الأمور ، ففي يوم الهجرة يستأجر مشركاً ليدله على الطريق ، وهو سيد المتوكلين ، لماذا لم يقل النبي ﷺ : معي ربي سيدلني على الطريق؟! لا .

بل يأخذ النبي ﷺ بالأسباب ، فيستأجر مشركاً ليدله على الطريق ، ويحمل الراحلة والزاد .

وفي يوم أحد يحارب النبي ﷺ وهو يرتدي درعين ، وكان يدخر لقومه ولأهله القوت في بيته وهو سيد المتوكلين ، هذا هو التوكل الحقيقي أن نأخذ بالأسباب ، أن نبذر الحب في

الأرض ، وأن نتعاهد الزرع بالري والحرث والتنقية ، وأن تتعلق قلوبنا بعد ذلك بالله لا بالأسباب ، لأن الأسباب وحدها لا تضر ولا تنفع ، ولا ترزق ولا تمنع ، إلا بأمر مسبب الأسباب جل جلاله ، وهذا هو التوكل الذي أمر الله به نبيه فقال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ [الفرقان:٥٨] ، وقال: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى الله﴾ [آل عمران:١٥٩] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّ الله يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران:١٥٩] .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ: بِسْمِ الله تَوَكَّلْتُ عَلَى الله لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله قَالَ: يُقَالُ حِينَئِذٍ: هُدِيتَ وَكُفِيتَ وَوُقِيتَ فَتَتَنَحَّى لَهُ الشَّيَاطِينُ ، فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ؟!»[٨٢] ، وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه يَقُولُ: قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ الله أَعْقِلُهَا – أي أربط الناقة – وَأَتَوَكَّلُ أَوْ أُطْلِقُهَا – أي أتركها حرة – وَأَتَوَكَّلُ؟ قَالَ: «اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ»[٨٣] .

(٨٢) (صحيح) أخرجه أبو داود ٥٠٩٥ وصححه الألباني .
(٨٣) (حسن) أخرجه الترمذي ٢٥١٧ وحسنه الألباني .

خلق اليقين والتوكل في محيط الأسرة

١- ينبغي أن يعلم كل واحد منا أهل بيته الرضا بقضاء الله ، والشجاعة والإقدام وحسن التوكل على الله تعالى ، مع أهمية أن يشرح لهم أن التوكل يعني الأخذ بالأسباب بالجوارح مع التوكل على الله بالقلب ، أي التيقن من أن تحقيق الغاية لن يتم إلا بأمر الله ؛ فإذا لم يكن هناك أسباب يمكن اتخاذها فالأمر لله ، وهنا ينبغي التضرع والدعاء له تعالى لتحقيق تلك الغاية ، مع الثقة في حكمته وأن كل ما يأتي به الله تعالى خير ، واستمرار السعي لطلب الرزق حتى لو لم يكن هنالك أسباب معروفة إذا إنقطعت الأسباب ، فعَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا**»[٨٤] ، فبالرغم من أن الطيور لا تخزن طعاما في أعشاشها إلا أنها تسعى في أول النهار متوكلة على ربها سبحانه وتعالى وبطونها فارغة وتعود آخره وبطونها ممتلئة بالطعام ، فالله تعالى أن الله يرزقها من خزائنه التي لا يعلمها إلا هو ، قال تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ**

(٨٤) (صحيح) أخرجه الترمذي ٢٣٤٤ وصححه الألباني .

﴿ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقاً وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴾ [غافر : ١٣] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود :٦] .

٢- يعلم الوالدين أولادهما كيف يتوكلون على الله ، فلقد كان الرسول ﷺ يحرص على تعليم الغلمان من أولاد الصحابة كيف يتوكلون على الله حق التوكل ، فقد كان يركب وراءه ذات مرة ابن عباس ، فقال له: «يَا غُلامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظْ اللهَ؛ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللهَ؛ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الأَقْلامُ، وَجَفَّتْ الصُّحُفُ» (٨٥) .

٣- يحسن لأولياء الأمور قص القصص الجميلة لليقين والتوكل على الله تعالى فمن هذه القصص :

- قصة غزوة ذات الرقاع : فعند رجوع رسول الله ﷺ وصحابته الكرام من الغزوة قريبا من نجد ، مروا على واد كثير

(٨٥) (صحيح) أخرجه الترمذي ٢٥١٦ وصححه الألباني .

الشجر فنام رسول الله ﷺ تحت شجرة ، وعلق عليها سيفه ، وتفرق الناس في الوادي يستظلون في الشجر ، فإذا برسول الله ﷺ يدعوهم فأتوه ، فإذا بأعرابي يدعى غورث وسيفه ساقط فقال رسول الله ﷺ إن رجلاً أتاني وأنا نائم فاتخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على رأسي فلم أشعر إلا والسيف صلتا – أي مسلولاً فلقد انتبه النبي والسيف فوق رأسه– فقال الأعرابي من يمنعك مني . .؟!! قلت: الله . .هذه كلمة فيها التوكل والتفويض والاستعانة بالله تعالى ، قال: فشام السيف أي وضعه في غمده . .وفي رواية سقط السيف من يده . . ، وها هوذا جالس . . [(٨٦)] .

قصة هجرة رسول الله ﷺ مع أبو بكر الصديق : فلقد كانت قريشاً تطلبهما بكل جد! فما تركت جبل إلا صعدت عليه ، وما تركت واد إلا هبطت فيه ، وما من فلاة إلا بحثت فيها ، وجعلت مكافأة لمن يأتي برسول الله ﷺ وأبي بكر مائتي بعير ، مائة للرسول ، ومائة لأبي بكر ، وتعب الناس في البحث عليهما ، وألجؤوهما إلى نقب في جبل ثور "بمكة"، فمكثا فيه

(٨٦) الحديث بالمعنى والأصل أخرجه مسلم ٨٤٣ .

ثلاث ليال ، حتى وقف المشركين على الغار ، الذي كان فيه رسول الله ﷺ وأبو بكر ، وأبو بكر خائف على النبي أكثر من خوفه على نفسه فقال لرسول الله ﷺ : لو نظر أحدهم إلي قدميه لأبصرنا ، فيقول له رسول الله ﷺ : «**يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما . .؟!!** » [٨٧] ، هذا هو التوكل المطلق على الله تعالى ويظهر جليا واضحا في أوقات الأزمات خصوصاً إذا لم يكن هناك أسباب تتخذ إلا تفويض الأمر الكامل إلى الله تعالى .

قصة غزوة حمراء الأسد : فبعد هزيمة المسلمين في أحد وقتل سبعين صحابيا ، وبعد عودة أبي سفيان بجيشه إلى مكة ، علم رسول الله ﷺ بأن أبي سفيان وجيشه يريدون العودة إلى المدينة ليستأصلوا شأفة المسلمين ، فأعلن رسول الله ﷺ عزمه على الخروج واستنفر الصحابة وألا يخرج إلا من شارك في أحد فهب المسلمون رغم ما بهم من جراح ، طاعة للنداء ، فبالله عليكم ، هل هذه العدة كافية للقاء أبي سفيان وجيشه المنتصر ،

---

(٨٧) الحديث بالمعنى والأصل أخرجه البخاري ٤٦٦٣ و مسلم ٢٣٨١ .   .

بالطبع لا ؛ ولكنه تمام التوكل والاستعانة والتفويض الكامل بالله تعالى عند إنقطاع الأسباب ، واقترب رسول الله ﷺ بجنوده من جيش المشركين فأقام فيه ، وأقبل معبد الخزاعي إلى النبي ﷺ فأسلم ، فأمره أن يلحق بأبي سفيان ، فيخذله ، فلحقه بالروحاء ولم يعلم بإسلامه ، فقال: ما وراءك يا معبد؟ فقال: محمد وأصحابه ، خرجوا في جمع لم يخرجوا في مثله ، وقد ندم من كان تخلف عنهم من أصحابهم ، فقال: ما تقول؟ فقال: أرى أن ترتحل ، فقال أبو سفيان : والله لقد أجمعنا الكَرَّة عليهم لنستأصلهم ، قال معبد: فإني أنهاك عن ذلك ، فانسحب أبو سفيان ومن معه ، وحاول أبو سفيان أن يغطِّي انسحابه هذا بشن حرب نفسية على المسلمين لعله يرهبهم ، فأرسل لهم رسالة مفادها ، أن أبا سفيان وجيشه قد أجمعوا على السير ليستأصلوا المسلمين من الوجود ، فقال المسلمون: حسبنا الله ونعم الوكيل . واستمر المسلمون في معسكرهم ، ورجعت قريش إلى مكة ، وبعد ثلاثة أيام عاد المسلمون إلى المدينة ، ويقول الله تعالى عن ذلك : ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُواْ للّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَاتَّقَواْ أَجْرٌ عَظِيمٌ

(١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤) ﴾ [آل عمران: ١٧٢ – ١٧٤] .

قصة شاب إنجليزى أسلم حديثًا : يسردها الدكتور "عبد الله الخاطر" الذي كان يعيش في إنجلترا لدراسة الدكتوراه يقول: " التقيت بشاب إنجليزي يعيش في جنوب لندن ، وقد أسلم حديثاً ، وبعد إسلامه بثلاثة أسابيع عثر على وظيفة ، فحاول غيره من الشباب المسلمين أن يحذروه من أن يقول: إنه قد أسلم حين يذهب للمقابلة الشخصية ، حتى لايكون ذلك سبباً في عدم قبوله ، فيتأثر نفسياً فيرتد عن دينه ، إلا أن هذا الشاب توكل على ربه ولم يخشهم ، فذكر لأصحاب العمل أنه قد أسلم وكان اسمه "رود"، فأصبح "عمر"، وقال لهم أيضاً بفخر: "لقد غيرت ديني واسمي وأريد وظيفة تتيح لي وقتاً للصلاة ، فما كان منهم إلا أن قبلوه في تلك الوظيفة !!! وكان الأمر أعجب عندما قالوا له: "إننا نريد في هذه الوظيفة رجلاً عنده القدرة على اتخاذ القرارات وأنت عندك قدرة عظيمة جداً

في اتخاذها ، فقد غيرت اسمك ودينك وهذا إنجاز كبير!!!.

* * *

٨- خلق العدل

يوجب الله تعالى العدل في القضاء ، والشهادة ، والقول ، والعمل ، والاعتقاد ، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ﴾ [النساء:١٣٥] .

فعلى من قضى بين اثنين أن يعدل في حكمه ، وأن من شهد أن يعدل في شهادته ، وأن من قال مخبرا أو آمرا ، أن يعدل في قوله وفي أمره ، إذ على العدل قامت السماوات والأرض .

الإخوة الفضلاء ، إن العدل صفة خلقية كريمة تعني التزام الحق والإنصاف في كل أمر من أمور الحياة ، والبعد عن الظلم والبغي والعدوان قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ ، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ وقد ورد في الحديث الشريف قوله ﷺ : «تَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ» ، والإسلام

يربأ بالمسلم عن الوقوع في أي لون من ألوان الظلم ، فالظالم مطرود من رحمة الله ، ولقد أوعد الله سبحانه وتعالى الظالمين بأشد العقوبات . قال تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ الله عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الله غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ كما تضمنت السنة النبوية الشريفة مجموعة من الأحاديث التي تقر العدل وتُحَرِّمُ الظلم ، منها:

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ : «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عند الله على مَنَابِرَ من نُورٍ عن يَمِينِ الرَّحْمَنِ، وكلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا» [٨٨] .

قال النووي: قول رسول الله ﷺ : الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وَلَّوا فمعناه أنَّ هذا الفضل إنما هو لمن عَدَلَ فيما تقلده من خلافة أو إمارة أو قضاء أو حسبة أو نظر على يتيم . . ونحو ذلك والله أعلم".

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه ، عّنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا رَوَى عَنْ الله تَبَارَكَ

---

(٨٨) (صحيح) أخرجه مسلم ٤٨٢٥ .

وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا»(٨٩) .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ تَعَالَى فِيْ ظِلِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَة يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ إِمَامٌ عَادِلٌ.»(٩٠) .

قال ابن حجر: "وأحسن ما فسر به العادل أنه الذي يتبع أمر الله بوضع كل شيء في موضعه من غير إفراط ولا تفريط".

وللظلم عواقب وخيمة، وما تزول الدول ولا يضطرب الحال إلا بسبب الظلم والتعسف والجور: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِداً﴾ [الكهف:٥٩]، ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ﴾ [هود: ١٠٢ - ١٠٣].

ويوجب الله تعالى العدل والإنصاف حتى مع الكفار: قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لله شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ

---

(٨٩) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٥٧٧ .
(٩٠) (صحيح) أخرجه البخاري٦٨٠٦.

يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ الله إِنَّ الله خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:٨] .

أي: لا يحملنكم بغض الكفار ﴿عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة:٨] هذا إذا كان مع الكفار ، فكيف إذا كان مع المسلمين من أهل البدع؟! بل كيف إذا كان مع المسلمين من أهل السنة؟! وللعدل ثمار كثيرة نذكر منها:

١ - **إنه سبب للبركة في الأرزاق**، ولقد وُجد في خزائن بعض بني أمية صرةُ حنطة أمثال نوى التمر مكتوبٌ عليها: هذا كان ينبت أيام العدل .

٢ - **إنه موصل إلى محبة الله سبحانه وتعالى**، قال الله تعالى: ﴿وَأَقْسِطُواْ إِنَّ الله يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات:٩] ، فهو سبحانه عدل ويحب أهل العدل .

٣ - **إنه قرين التوحيد**، وذلك لأن التوحيد أعظم العدل ، كما أن الشرك أعظم الظلم ، قال تعالى: ﴿شَهِدَ الله أَنَّهُ لا اله إِلاَّ هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَائِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ اله إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:١٨] .

٤ – أنه سبب لقيام الدول وسرّ استقرارها، قال ابن تيمية: " قيل: إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة، ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام ".

خلق العدل في محيط الأسرة المسلمة

أيها الأب الكريم، عامل أولادك بالعدل فيما بينك وبينهم، فلا تظهر لهم ميولك مع أحدهم دون الآخرين، ولكن ليشاهدوا منك عدلاً بينهم، تعدل بينهم في الخطاب، وتعدل بينهم في الحديث، وتعدل بينهم في الأمر والنهي، وتعدل بينهم في النفقة، حاول استئصال كل ما تظن أنه سبب لفرقتهم، تستأصله من نفوسهم بالقول الطيب وحسن الأخلاق، حاول أن تشعرهم أنهم سواء، وأنهم إخوة يجب أن يتعاونوا، حاول ربط صغيرهم بكبيرهم، وحث صغيرهم على احترام كبيرهم، وحث الكبير على رحمة الصغير، وحاول تقديم الأكبر في المجلس ، حتى يشعروا أن هذا هو الخلق الذي ينبغي أن يكونوا عليه.

وأشعر بناتك بالعدل فلا تفضِّل احدًا علـى أحـد ، ولا تقـدم هذا على هذه ، وحاول أن تستشيرهم جميعاً ليشعروا منك أنك الأب الحنون الشفيق عليهم .

فينبغي العدل بين الأولاد: وأن يتجنبوا تفضـيل بعضـهم علـى بعض ، سواء في الأمور المادية كالعطايـا والهـدايا والهبـات ، أو الأمور المعنوية ، كالعطف ، والحنان ، وغير ذلك .

أيها الأب الكريم ، اختر لأولادك الأسماء الحسنة ، وابتعد عن الأسماء التي فيها جفاء أو فيها غلو ، وحاول أن تنشئهم النشأة الطيبة ليكون البيت معموراً بالخير والهـدى ، هـذه شـريعة الله التي أوجبت تلك الحقوق على الأبوين .

ولقد ضرب رسول الله ﷺ المثل الأعلى في العدل ، مع المرأة المخزومية القرشية التي سـرقت ، وقـرر رسـول الله ﷺ تنفيـذ الحد عليها ، فعن عائشة رضي الله عنها : أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُـمْ شَـأْنُ الْمَـرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ ، فَقَالَ: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِى عَلَيْهِ إِلاَّ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ ، حِـبُّ رَسُـولِ اللهِ ﷺ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ رضي الله عنه ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**أَتَشْـفَعُ فِي حَـدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا أَهْلَـكَ الَّـذِينَ قَـبْلَكُمْ**

أَنَّهُـمْ كَـانُوا إِذَا سَرَقَ فِـيهِمُ الشَّرِيـفُ تَرَكُـوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِـيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَـامُوا عَلَيْـهِ الْحَـدَّ؛ وَايْـمُ اللهِ لَـوْ أَنَّ فَاطِمَـةَ ابْنَـةَ مُحَمَّـدٍ سَرَقَتْ، لَقَطَعْتُ يَدَهَا» [٩١] .

ولقد كان السلف رحمهـم الله يعـدلون بـين الأولاد حتـى في القُبلة ، فلو قبل هذا رجع وقبـل هـذا ، حتـى لا ينشـأ الأولاد وبينهم الحقد ؛ وذلك لأن التفضيل يؤدي إلى مفاسد منها :

أولها: أن يكون ضرر التفضيل على الوالد نفسه ؛ فإنـه ينشـأ الأولاد على حقد وكراهية للوالد ، وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا المعنى ، فَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ، قَالَ: انْطَلَقَ بِـي أَبِـي يَحْمِلُنِـي إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ، اشْهَدْ أَنِّي قَـدْ نَحَلْـتُ النُّعْمَانَ كَذَا وَكَذَا مِنْ مَالِي ، فَقَالَ: «**أَكُلَّ بَنِيكَ قَدْ نَحَلْتَ مِثْـلَ مَا نَحَلْتَ النُّعْمَانَ؟** » قَالَ: لَا ، قَالَ: «**فَأَشْهِدْ عَلَى هَذَا غَـيْرِي** » ، ثُمَّ قَالَ: « **أَيَسُرُّكَ أَنْ يَكُونُوا إِلَيْكَ فِي الْبِرِّ سَوَاءً؟** » قَـالَ: بَلَـى ، قَالَ: « **فَلَا إِذًا** » [٩٢] .

---

(٩١) (صحيح) أخرجه البخاري ٣٤٧٥ ، ومسلم ١٦٨٨ .
(٩٢) (صحيح) أخرجه مسلم ١٦٢٣ .

ثانيا : توغر صدور بعضهم على بعض ؛ ولذلك حصل ما حصل بين يوسف عليه السلام وإخوته ؛ لأنهم قالوا: ﴿ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا﴾ [يوسف:٨] ؛ ولذلك لا ينبغي للأبوين أن يفضلا ولدٍ على ولد ، وإنما يكون كلٌ منهما على تقوى الله عز وجل ، فيجب أن يحسنوا إلى الجميع ، سواءً كان ذلك التفضيل من الجانب المعنوي ، أو الجانب الحسي المادي .

وقال بعض العلماء: ينبغي على الوالد والوالدة أن يراعيا أحاسيس ومشاعر أولادهم ، فلا يحاول الوالد أن يميل إلى ولدٍ أكثر من الآخر أثناء الحديث ، أو يمازحه ويباسطهُ أكثر من الآخر ، وإنما يراعي العدل بين الأولاد في كل شيء .

وإذا أعطى الابن هبة أو عطية ، يعطي الأنثى كذلك ، واختلف العلماء في كيفية العدل بين الذكر والأنثى ، ولهم قولان مشهوران ، قال بعض العلماء: المال الذي يعطيه للذكر ، يعطيه مثله قدراً للأنثى سواءً بسواء ، فإن أعطى هذا ديناراً يعطي هذه ديناراً ، وقال جمعٌ من العلماء: إن العدل بين الأولاد أن يعطي الذكر مثل حظ الأنثيين ، وهذا هو

الصحيح ؛ لأنه قسمة الله عز وجل من فوق سبع سماوات ، وقال تعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى﴾ [آل عمران:٣٦] ، وقد تكون هناك موجبات خاصة استثناها بعض العلماء من العدل ، فقالوا: إذا كان أحد الأولاد يتعلم أو يقوم على أمر من الأمور المختصة به ، يحتاجها لصلاح دينه أو دنياه ، فلا بأس أن يخصص بالعطية ، وكذلك إذا تفرغ لتعلم صنعة أو نحو ذلك ؛ فإن والده إذا أراد أن يعطيه من أجل هذا التعلم فله أن ينفق عليه على قدر حاجته ، ولا يلزم بإعطاء الأنثى مثل ما يعطيه أو نصف ما يعطيه وهكذا .

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : " لا يجوز للإنسان أن يفضل بعض أبنائه على بعض إلا بين الذكر والأنثى فإنه يعطي الذكر ضعف ما يعطي الأنثى لقول النبي ﷺ «**اتقوا الله واعدلوا في أولادكم**» فإذا أعطى أحد أبنائه ١٠٠ درهم وجب عليه أن يعطي الآخرين مائة درهم ويعطي البنات ٥٠ درهما ، . .وهذا الذي ذكرناه في غير النفقة الواجبة ، أما النفقة الواجبة فيعطي كلا منهم ما يستحق فلو قدر أن أحد أبنائه احتاج إلى الزواج ، وزوجه ودفع له المهر لأن الابن لا يستطيع

دفع المهر فإنه في هذه الحال لا يلزم أن يعطي الآخرين مثل ما أعطى لهذا الذي احتاج إلى الزواج ودفع له المهر لأن التزويج من النفقة ، وأود أن أنبه على مسألة يفعلها بعض الناس جهلا ؛ يكون عنده أولاد قد بلغوا النكاح فيزوجهم ، ويكون عنده أولاد آخرون صغار ، فيوصي لهم بعد موته بمثل ما زوج به البالغين وهذا حرام لا يجوز لأن هذه الوصية تكون وصية لوارث والوصية لوارث محرمة لقوله ﷺ : « **إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ أَعْطَى لِكُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَلَا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ** »[(٩٣)] ، فإن قال أوصيت لهم بهذا المال لأني قد زوجت إخوتهم بمثله فإننا نقول إن بلغ هؤلاء الصغار النكاح قبل أن تموت فزوجهم مثلما زوجت إخوتهم فإن لم يبلغوا فليس واجبا عليك أن تزوجهم .

* * *

٩- خلق الوفاء بالعهود

الوفاء بالعهود هو تمام أداء الحقوق والثبات عليه ، وعهد الله أولى ما يوفى به ، وعهود الخلق تبع لعهد الله ، ولذلك قال

(٩٣) (صحيح) أخرجه الترمذي ٢١٢٠ وصححه الألباني .

تعالى: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ الله إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ الله عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ الله يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ(٩١)﴾ [النحل:٩١] .

ولقد حذرنا الله تعالى من نقض العهود لأن نقض العهد، غدر، وخيانة، والله تعالى قبح صور الخائنين الغادرين، فقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ الله مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ الله بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة:٢٧] .

إن صدق الوعد خصلة كريمة من خصال الإيمان، وخلق عظيم من أخلاق الإسلام، عز وجوده وندر في هذه الأيام، فكم من وعود معسولة! وكم من عهود مسموعة ومرئية ومنقولة! ولكن أين الوفاء بالعهد؟! وأين صدق الوعد والوعود؟! فإن كثيراً من الناس في هذه الأيام يتكلم؟ وكم من المسؤولين من يَعِد؟ ولكن أين صدق الوعود؟! وأين الوفاء بالعهود؟! لذا أثنى الله جل وعلا على إسماعيل عليه السلام بصدق الوعد؛ فإسماعيل عليه الصلاة والسلام؛ هو الذي وعد الخليل عليه الصلاة والسلام أن يجده صابراً إذا ما جاء

لينفذ فيه أمر الله بالذبح ، كما قال الله عز وجل عنه: ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢] ، ولقد وفى بوعده لقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ [الصافات:١٠٣] ، لذا أثنى الله عليه بقوله: : ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم:٥٤] .

ويجب الوفاء بالشروط أياً كانت هذه الشروط ، ما دامت لا تحل حراماً ولا تحرم حلالاً ، ولذلك يقول رسول الله ﷺ : «الْمُسْلِمُونَ عَلَى شُرُوطِهِمْ، إِلَّا شَرطًا أَحَلَّ حَرَامًا أَوْ حَرَّمَ حَلَالًا»(٩٤) ، أما الشروط التي لا تحل حراماً ولا تحرم حلالاً ؛ فإنه يجب الوفاء بها أياً كانت هذه الشروط ، سواء كانت بين الزوجين ، أو بين أي اثنين من الناس ؛ لأن الله تعالى قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة:١] ، والوفاء بعهد الله عز وجل يقتضي توحيده وإفراده بالعبادة ، كما يقتضي التحاكم إلى شرعه وحده والكفر بالطاغوت ، ولقد أخذ الله تعالى العهد على بني آدم ألا يعبدوا الشيطان ، قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٦٠)﴾

(٩٤) (صحيح) أخرجه الترمذي ١٣٥٢ وصححه الألباني .

[يس:٦٠] .

والوفاء بعهد رسول الله ﷺ يقتضي إحياء سنته والذب عنها وتقديم قوله على قول كل أحد ، وهذا مقتضى شهادة أن محمدا رسول الله ، فمن أخل بشيء من ذلك المقتضى فهو كاذب في هذه الشهادة ، وأما الوفاء بعهد الناس فقد جعل الشرع خلف الوعد والغدر فيه من أشد أنواع الكذب بل جعله من أركان النفاق وآيات المنافقين كما قال رَسُولَ الله ﷺ : «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ» (٩٥) .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «خَمْسٌ بِخَمْسٍ، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله وَمَا خَمْسٌ بِخَمْسٍ؟ قَالَ:مَا نَقَضَ قَوْمٌ الْعَهْدَ إِلا سُلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوُّهُمْ، وَمَا حَكَمُوا بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ الله إِلا فَشَا فِيهِمُ الْفَقْرُ، وَلا ظَهَرَتْ فِيهِمُ الْفَاحِشَةُ إِلا فَشَا فِيهِمُ الْمَوْتُ، وَلا طَفَّفُوا الْمِكْيَالَ إِلا مُنِعُوا النَّبَاتَ وَأُخِذُوا بِالسِّنِينَ، وَلا مَنَعُوا

---

(٩٥) (صحيح) أخرجه البخاري ٣٤ ومسلم ٥٨ .

الزَّكَاةَ إِلا حُبِسَ عَنْهُمُ الْقَطْرُ»[٩٦] .

وهــذا فــرض ومــنهج حيــاة لا تجــوز مخالفتــه ، قــال تعالى: ﴿**وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً**﴾ [الإسراء: ٣٤] .

خلق الوفاء بالعهد في محيط الأسرة

وأما العهود التي في محيط الأسرة كثيرة فعقد الزواج عهد ؛ فَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﷺ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**أَحَقُّ الشُّرُوطِ أَنْ تُوفُوا بِهِ مَا اسْتَحْلَلْتُمْ بِهِ الْفُرُوجَ**»[٩٧] ؛ فلابد للمسلم أن يؤدي ما التزم من الشروط على عقد الزواج ؛ لأنه استحل بها الفرج ؛ فأيما رجل تزوج امرأة على ما قل من المهر أو كثر ، ليس في نفسه أن يؤديها حقها ؛ فقد خدعها ، ووقع تحت طائلة العقاب .

وتربية الأولاد عهد ؛ قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾

---

(٩٦) (حسن) أخرجه الطبراني في الكبير ١٠٩٩٢ وحسنه الألباني .
(٩٧) (صحيح) أخرجه البخاري ٢٧٢١ ومسلم ١٤١٨ .

التحريم :٦] . فمن أهملهم ؛ لم يوف بما عهد إليه .

فينبغي على ولي الأمر ، المحافظة على الصدق مع أولاده في الوفاء بالعهد وصدق الحديث ؛ فإنهم يقتدون به ، وينبغي على أولياء الأمور أن يوفوا بعهودهم لأولادهم ولا ينقضوها فإذا وعد ولي الأمر ولده بجائزة إن نجح مثلا فينبغي أن يفي بالوعد ، ولو أقسم ولي الأمر على شيء سيفعله ، فلا بد أن يبر بالقسم ولا يحنث ، طالما ليس فيه محذور شرعي .

وعلى من له ولاية في تزويج امرأة أن يتقي الله فيها فلا يمنعها من كفئها ، ولا يزوجها بغير كفء لها ، وليختر لها صاحب الدين والأخلاق الفاضلة ولا يجعل همه في المال فالمال قد يزول من الغني ، وقد يكون الفقير غنيا ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال : ٢٧] .

ومن العهود أيضا الإحسان بالوالدين والأرحام واليتامى والمساكين قال تعالى: ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً﴾ [البقرة :٨٣] ، وكذلك بر الوالدين لقول الله تعالى : ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ

وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ﴾[الإسراء :٢٣] ، ولقد حذرنا الله تعالى من قطع الرحم فقال : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾[محمد :٢٢] .

ومن العهود حقوق الجار ؛ فإنها حقوق يلتزم بها الجار لجاره فطرة وديناً وخلقاً ؛ فَعَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْخُزَاعِيِّ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ »(٩٨) ، وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ »(٩٩) ، والإسلام حريص على أن يفي كل جار لجاره بالأمان من ظلمه ؛ فلا تستباح محارمه ، ولا ينال عرضه ، ولا يستحل ماله ، ولا يناله أي صنف من أصناف الأذى .

وللأسف هناك من المسلمين من يذيقون جيرانهم صنوف الأذى: إما بالاستطالة في أعراضهم ، أو بالأذى الفعلي في بيوتهن ، أو بالتلصص على عوراتهم ، أو بالأذى في طرقاتهم ،

---

(٩٨) (صحيح) أخرجه البخاري ٢٧٢١ ومسلم ١٤١٨ .

(٩٩) (صحيح) أخرجه البخاري ٦٠١٥ ومسلم ٢٦٢٤ .

أو بالأصوات المنبعثة من داخل بيوتهم ، ولم يعرفوا لجيرانهم حقا ، وعلموا أن للجار حق الإحسان إليه؟!

* * *

١٠- خلق الحياء

ولقد حثت الشريعة الإسلامية المسلمين على التحلي بفضيلة الحياء وبيَّنَ النبي ﷺ أن هذا الخلق الشريف هو أبرز ما يتميز به الإسلام فَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَخُلُقُ الإسلام الْحَيَاءُ**»(١٠٠) .

وإذا استحكم خلق الحياء في نفس المسلم ، صده عن كل قبيح وقاده إلى كل أمر حسن طيب ، والحياء لا يأتي إلا بخير ، أما إذا ضعف هذا الخلق فلن يحل محله إلا السفه والوقاحة والفحش ، ويجد الإنسان نفسه أمام أبواب مفتوحة من السوء والمنكر فينزلق إليها .

وإذا كان الحياء من الناس حسنا ، فإن الأحسن منه كثيرا أن يكون الحياء من الله تعالى لأنه يمنع الإنسان من المعاصي دائما ،

---

(١٠٠) (صحيح) أخرجه ابن ماجه ٤١٨١ وحسنه الألباني .

وَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**اسْتَحْيُوا مِنْ الله حَقَّ الْحَيَاءِ، قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ الله إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لله، قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ وَلَكِنَّ الِاسْتِحْيَاءَ مِنْ الله حَقَّ الْحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْتَذْكُرْ الْمَوْتَ وَالْبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنْ الله حَقَّ الْحَيَاءِ**» (١٠١) .

يقول فضيلة الدكتور عبد العظيم بدوي : هكذا بيّن رسول الله ﷺ أن حقيقة الحياء من الله تكون بمجموع هذه الأمور التي ذكرت في الحديث ، وأن من ترك منها شيئا نقص حياؤه على قدر ما ترك منها .

وأول هذه الأمور: حفظ الرأس مجملا بالتنزه عن الشرك ، فلا يضع رأسه لغير الله ساجدا ، ولا يرفعه على عباد الله تكبرا ، وتفصيلا: فحفظ الرأس معناه: أن يحفظ رأسه وما وعاه من الحواس كالفم واللسان ، والعين والأذن . فحفظه الفم يكون باجتناب أكل الحرام وما فيه شبهة ، وأكل الحرام يمنع قبول الدعاء ، وأما اللسان فإمساكه عن الحرام والشر واجب ،

---

(١٠١) (حسن) أخرجه الترمذي٢٧٩٠ وحسنه الألباني .

فبتجنبه الكذب ، والغيبة ، والنميمة ، وشهادة الزور ، وبه يكون القول على الله بغير علم ، وكل ذلك من الموبقات ، وأما العين فبحفظها عن النظر لما لا يجوز له النظر إليه ، أما الأذن: فحفظها يكون بترك الاستماع إلى الخنا والفجور ، وبترك الاستماع إلى القينات والمعازف ، وبترك الاستماع إلى كل ما حرم الله الاستماع إليه ، فإن المسلم مخاطب بتغيير المنكر إذا رآه أو سمعه ، فإذا استمع الإنسان للمنكر ألفه قلبه ، حتى لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا .ويدخل في حفظ الرأس حفظه عن نظر من لا يجوز له النظر إليه ، وأما حفظ الفم ، فلا يدخل فيه حرام وما فيه شبهة .

وأما ما حواه البطن فالمراد به الفرج ، وحفظ الفرج قد أمر الله به فقال: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ [النور:٣٠ – ٣١] .

ومما يحزن القلب تساهل المؤمنات في الذهاب إلى الأطباء الرجال لأتفه الأسباب ، وتمكينهم من الكشف على العورة

المغلظة والنظر إليها ولمسها من غير ضرورة . فاتقين الله معشر المسلمات ، واحفظن فروجكن ، واعلمن أن الحياء والإيمان قرناء ، إذا رفع أحدهما رفع الآخر! .

ومن حقيقة الاستحياء من الرب: ذكر الموت ، لأن من ذكر أن مآله للموت والفناء ، هان عليه ما فاته من اللذات العاجلة ، وأهمه ما يلزم من طلب الآجلة ، ومن أراد الآخرة أي الفوز بنعيمها ترك زينة الدنيا ، ومدح الحافظين فروجهم فقال: ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ الله كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ الله لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ [الأحزاب:٣٥] .

إخوتي في الله ، هناك فرق كبير بين الخجل والحياء ، فالخجل يعرّفه علماء النفس بأنه: ارتباك نتيجة موقف ، فمن الخجل عند بعض النساء تخاذلها عن إنكار المنكر في المناسبات العامة ، كحفلات الأعراس ، ونحوها ، وكثير من الناس لا ينكر المنكر ، ويقول: استحييت وما استطعت أن أتكلم ، هذا ليس بحياء ، هذا خجل مذموم ،فالخجل ناتج عن جبن ، عن خوف . . فالشخصية الخجولة شخصية ضعيفة . . يرى حقه مهضوما ولا يطالب به ، ولكن الحياء عكس ذلك تماما . . فإن الحياء ناتج

عن شخصية قوية ، شخصية تستشعر قيمتها فهي كريمة . تستعلي أن تفعل القبائح ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : **«الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ»** (١٠٢) .

أي أن الإيمان يتكون من بضع وستين شعبة من تجمعت فيه صار مؤمنا ، ونلاحظ أن النبي ﷺ لم يذكر هذه الشعب ولكنه ذكر الحياء فقط .سبحان الله!!! انها لدلالة صريحة على أن الحياء سيأخذ بيدك للبضع والستين شعبة ، فإن كنت حييا انضبطت معك بقية الشعب .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : **«الحَياءُ والإيمان قُرناءُ جَمِيعًا فَإِذَا رُفِعَ أَحَدِهِمَا رُفِعَ الآخَرُ»** (١٠٣) .

سبحان الله!!! إنها دلالة صريحة على أن الحياء جزء من مكونات الإيمان ، وأنه قرين للإيمان إذا رفع أحدهما رفع الآخر .

---

(١٠٢) (صحيح) أخرجه البخاري ٩ ، ومسلم ٣٥ واللفظ لمسلم .
(١٠٣) (صحيح) أخرجه الحاكم ٥٨ وصححه الألباني .

خلق الحياء في محيط الأسرة

فمن الحياء ألا يرى الأولاد عورة أبيهم فلا يخلع ملابسه أمامهم فتظهر عورته ، وكذا ينبغي على الزوجة ألا يظهر من جسدها أمام أولادها وخصوصا إذا بلغوا سن المراهقة إلا أماكن الوضوء ، وأن يعود الأطفال ألا يخلعوا ملابسهم ويظهروا عورتهم أمام إخوتهم كما يفعل أباءهم معهم ، وكذا ينبغي التفريق بين الأولاد في المضاجع إذا بلغوا عشر السنين لقول رسول الله ﷺ : « **مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ-وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ** »(١٠٤) ، وكذا يعود الأولاد أن يحفظوا أبصارهم عن مشاهدة وسماع الحرام سواء عبر التفاز أو الفيديو و المجلات .

وإذا رأى الأولاد خلق الحياء مُفَعَّل عند الوالدين إكتسبوا هذه الصفة الحميدة ، فإذا رأى الأولاد أن أولياء الأمور يغضون أبصارهم عن النظر للحرام ؛ فلا ينظر الرجال إلى النساء الأجانب بل يغضون أبصارهم ، ولا تنظر النساء للرجال الأجانب بل يغضضن أبصارهن ويرتدين الحجاب

---

(١٠٤) (حسن صحيح) أخرجه الترمذي ٤٩٥ وصححه الألباني .

الشرعي ، وكذلك إذا رأى الأولاد أولياء أمورهم يغضون سمعهم عن سماع الحرام كالموسيقى والأغاني . . ، ويغضوا ألسنتهم عن الغيبة والنميمة والشتم والقذف والوقوع في أعراض الناس ، بل يكثرون من ذكر الموت ، ولا يدخلوا في بيوتهم إلا الطعام الحلال ، ولا يلهثون وراء حطام الدنيا الفاني ، فبذلك سيتعلم الأولاد عمليا خلق الحياء ، وهذا مصداقا لقول رسول الله ﷺ: **أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْتَذْكُرْ الْمَوْتَ وَالْبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنْ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ»**[١٠٥] .

* * *

١١- خلق الصبر

معاشر الإخوة ، الابتلاء للمؤمن كالنار للذهب ، يزيد في نقائه وصلابته ، كما قال تعالى: ﴿**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾ [البقرة:١٢٤] .

---

(١٠٥) (حسن) أخرجه الترمذي ٣٧٩٠ وحسنه الألباني .

وقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالتسلح بسلاح الصبر والصلاة عند نزول البلايا والمصائب قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٣] .

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاص رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاَءً؟ قَالَ: «**الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلاَؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ البَلاَءُ بِالعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**» (١٠٦) .

ولقد أمرنا الله عز وجل بأربعة أمور عند لقاء العدو وذلك بالصبر والمصابرة والرباط والتقوى ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] .

والصبر عند نزول البلاء يكون برضا القلب بقضاء الله ، وحبس اللسان عما يغضب الله وتقييد الجوارح عما يغضب

(١٠٦) (صحيح) أخرجه الترمذي ٢٣٩٨ وصححه الألباني .

الله ، وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ الله ﴿إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ اللهمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا أَخْلَفَ الله لَهُ خَيْرًا» (١٠٧) .

أخي الحبيب ، الصبر على أذى الناس له منزلة عظيمة عند الله عز وجل خصوصا عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله ، فَعَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذٍ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: « مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ اللهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ مَا شَاءَ » (١٠٨) .

وهناك أسباب معينة على الصبر كثيرة نذكر منها:

١ - **اليقين بحسن الجزاء**، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ(١٠)﴾ [الزمر: ١٠] .

٢ - **التأسي بأهل المصائب**، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن

---

(١٠٧) (صحيح) أخرجه مسلم ٩١٨ .

(١٠٨) (حسن) أخرجه أبي داود ٤٧٧٧ وحسنه الألباني .

قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ(٣)﴾ [العنكبوت:٢] .

٣ – **اليقين بالفرج**، قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً (٦)﴾ [الشرح:٦] .

٤ – **اليقين بأن الجزع لا يرد المصيبة**، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ (٢٢)﴾ [الحديد: ٢٢] .

٥ – **اليقين بأن الله يحب الصابرين** ، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ(٤٦)﴾ [الأنفال: ٤٦] .

٦ – **اليقين بأن الصبر على البلاء يرفع الدرجات**، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥)﴾ [البقرة: ١٢٥] .

٧ – **اليقين بأن الله تعالى يبتلي العباد حتى يختبر أقوالنا وأفعالنا**، فيظهر الصادق من الكاذب ، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ (٣١)﴾ [محمد:

٣١] .

خلق الصبر في محيط الأسرة

١- صبر كل من الزوجين على الآخر

حث الشرع على صبر كل واحد من الزوجين على ما يلاقيه من الآخر ما دام ذلك ممكنا وما دام سبيلا لاستمرار هذه العلاقة بشكل مقبول فحث الله تعالى الزوج بأن يصبر على زوجته قال تعالى : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً ﴾[النساء:١٩] ، وكذلك حث رسول الله ﷺ الزوج بألا يكره زوجته لخلق سيء فيها فقال رَسُولُ اللهِ ﷺ : «لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ »[١٠٩] .

وينبغي على الزوجة الصبر على سلبيات الزوج ؛ فقد يكون الزوج بخيلاً ، قد يفتعل المشاكل في البيت لأتفه الأسباب أو بدون سبب ، قد يكون الزوج ديكتاتورياً في البيت لا يسمح بالمناقشة ، ويريد أن يفرض رأيه على زوجته بكل وسيلة ، ولا

---

(١٠٩) (صحيح) أخرجه مسلم ١٤٦٩ .

يسمح لها بأي خيار من الخيارات المباحة ، ويفاجئها بقرارات بين يوم وليلة ، وقد يسبها ويشتمها ويرميها بألفاظ شنيعة ، . فالصبر على سلبيات الزوج صفة لا ينبغي للمرأة أن تستهين بها ؛ لأن فيها أجراً عظيماً لا يضيع عند الله عز وجل فإن ذلك سببا في دخولك الجنة ، فَعَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِنِسَائِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟» ، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ الله، قَالَ: الْوَدُودُ الْوَلُودُ الَّتِي إِنْ ظَلَمَتْ أَوْ ظُلِمَتْ قَالَتْ: هَذِهِ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، لَا أَذُوقُ غَمْضًا حَتَّى تَرْضَى»[(١١٠)] .

٢- الصبر على المرض والمصائب

الأخوة أولياء الأمور قد تمرض أو يمرض أحدا من أهلك فعليك بالصبر ، والرضاء بقضاء الله والإيمان بقدره وأن الله تعالى يفعل في ملكه ما يشاء: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[الأنبياء:٢٣] .

وقد أرشد الرسول لأمته الدواءين الدواء المادي والدواء القرآني أما الدواء المادي فخبره لدى الأطباء والمستشفيات

(١١٠) (حسن) أخرجه الطبراني في الكبير ٣٠٧ وحسنه الألباني .

والجراحين هم أهل هذا الشأن .

وقد أرشد رسول الله ﷺ العسل والاغتسال بالماء البارد للمحموم ووصف الحجامة ، وذكر الكي من أنواع الدواء لكنه جعله آخر الدواء .

والمؤمن يتخذ الأسباب إذا ابتلي بالمرض أو بغيره ، يتخذ الأسباب يبحث عن الدواء المادي ، يذهب إلى الأطباء والمستشفيات فرسول الله ﷺ لم يترك التداوي وهو سيد المتوكلين والمؤمنين ، فقد تداوى بنفسه طلب الدواء لنفسه ووصفه لغيره .

فالدواء المادي المتاح لدى الأطباء والمستشفيات ، والدواء القرآني المتاح في هذا الكتاب العظيم المبارك الكريم فيقرأه على نفسه ، يقرأ منه ما تيسر به على نفسه أو يرقيه به غيره من المؤمنين الصالحين الصادقين ، فينفع بإذن الله عز وجل .

ونذكر ولي أمر الأسرة أن يداووا مرضاهم بالصدقة فهذا باب عظيم لا يجب التغافل عنه فيحاول ولي الأمر أن يخرج صدقة بنية الشفاء لقول رسول الله ﷺ: « **داووا مرضاكم بالصدقة**

»[(١١١)] ، فيا من بليت بمصيبة أو رَزِيّة من مرض مزعج أو ألم مُضْن أو فقد قريب أو موت حبيب ، عليك بالصبر ؛ ففي ذلك تكفير للذنوب ورفع للدرجات ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **مَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ** »[(١١٢)] .

٣- الصبر على وفاة الولد

من الفتن العظيمة والمخاطر الجسيمة التي يقع فيها البعض بسبب مصيبة تحل بماله أوولده ، فلا يصبر ويحتسب ، وإنما يصيح ويجزع ، فيخسر الدنيا والآخرة .

أيّتها المرأة المسلمَة ، صبرُك على قضاءِ الله وقدَره أمرٌ مطلوبٌ منك شرعًا ، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ ، فَقَالَ: «**اتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي**» قَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي ، وَلَمْ تَعْرِفْهُ ، فَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ ، فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَلَمْ

---

(١١١) (حسن) أخرجه أبو الشيخ في الثواب وحسنه الألباني .

(١١٢) (حسن صحيح) أخرجه الترمذي ٢٣٩٩ وصححه الألباني .

تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ ، فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ ، فَقَالَ: «**إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى**»(١١٣) ، ولهذا عَظُمَ ثواب وأجر المحتسبين ، فعلى أولياء الأمور أن يتأسوا بسلفهم الصالح ، ويقتدوا بهم ، وأن يتذكروا عند المصائب مصابهم برسول الله ﷺ ، حيث لم يصب مسلم مصاباً أشد ولا أكبر منه ، فقد مات كل ولده إلا فاطمة رضي الله عنها في حياته ، ولقد صح عنه أنه قال: «**إِذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْدِ قَالَ اللهُ لِمَلَائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فَيَقُولُ اللهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الحَمْدِ**»(١١٤) .

وهنالك أمران مما يسلّي المؤمن في مصيبته ويعينه عند محنته ، وينبغي أن يضعهما كل مبتلى نصب عينيه وأمام ناظريه:

الأمر الأول: أن يعرف أن أهله وماله ملك لله عز وجل على الحقيقة ، وأنه ليس إلا أمينًا على ما في يده ، فإذا أخذه الله منه

---

(١١٣) (حسن) أخرجه البخاري ١٢٨٣ .

(١١٤) (حسن) أخرجه الترمذي ١٠٢١ وحسنه الألباني .

فكأنه رد الأمانة إلى صاحبها ، فليس العبد هو الذي أوجد الشيء ، وإنما المالك الحقيقي لذلك هو الله عز وجل ، وهو المتصرف فيما يريد كيف يشاء .

الأمر الثاني: ما دام مصير العبد إلى الله فيجب عليه أن يعلم أن هذه الدنيا قصيرة مهما طالت ، وأنه سيتركها عاجلاً أو آجلاً ، وأنه سيلقى ربه كما خُلِق أول مرة بلا أهل ولا مال ، وإنما سيلقاه بحسناته وسيئاته ، وإذا كان الأمر كذلك فكيف يفرح بموجود ويحزن لمفقود؟!

٤- الصبر على تربية الأولاد

فصبر الزوج والزوجة على تربية الأولاد وشقاوة الأولاد ومشاكلهم فيه أجر عظيم وعليهما أن يكثرا من الدعاء لأولادهما بالسعادة لهم في الدنيا والآخرة ويتجنبا الدعاء على أولادهما لقول رسول الله ﷺ : « **لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ**» (١١٥) .

---

(١١٥) (صحيح) أخرجه مسلم ٣٠٠٩ .

فدعاء الوالد على ولده قد يستجاب فيشقي الولد ، ومما يعين على الصبر استحضار فضائل التربية في الدنيا والآخرة: فهذا مما يعين الوالد على الصبر والتحمل ، فإذا صلح الأولاد كانوا قرةَ عينٍ له في الدنيا ، وسببًا لإيصال الأجر له بعد موته ، ولو لم يأته من ذلك إلا أن يكف شرهم ، ويسلم من تبعتهم .

واستحضار عواقب الإهمال والتفريط في تربية الأولاد: فالأولاد أولاده ، ولن ينفك عنهم بحال من الأحوال ، فإذا أهملهم وقصر في تربيتهم كانوا شوكة في حلقه في الدنيا ، وكانوا سببًا لتعرضه للعقاب في الآخرة .

❊ ❊ ❊

الفهرس

تم بحمد الله تعالى